

مجمع اللغة العربية
بجامعة القاهرة

كلية اللغة العربية وأدبها

مركز الدراسات والبحوث
بجامعة القاهرة

مقرر الأدب في العصر العباسي الأول

(رقم ٥٠-٥٠٣٢٩٣)

اسم المقرر	رمز المقرر	المتطلب السابق
الأدب في العصر العباسي الأول	٥٠ - ٥٠٣٢٩٣	الأدب في العصر الأموي

*محتوى المقرر:

يدرس الطالب في هذا المقرر تعريفاً أولياً بالعصر العباسي الأول؛ يتناول فيه الحياة الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية، وكيف أثر الأعاجم في البلاط العباسي، ثم يتناول بالدراسة لأدب العصر شعره ونثره مبيناً الخصائص الفنية التي برزت في فنون الأدب مع توضيح للعوامل التي أثرت في هذه الفنون، مع دراسة نماذج لأعلام الشعراء والأدباء؛ مثل: بشار وأبي نواس وأبي تمام وابن المقفع والجاحظ وسهل بن هارون.

*أهداف المقرر:

يُتوقع من الطالب في نهاية المقرر أن:

١. يتعرف خصائص الأدب العربي في العصر العباسي الأول.
٢. يتعرف أبرز التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية التي أثرت فيه.
٣. يميز أبرز أغراض الشعر والنثر في هذا العصر.
٤. يلم بأبرز الشعراء وأعلام النثر في هذا العصر.
٥. يدرك أهم التطورات التي لحقت بفنون الأدب في هذا العصر والتي ميزته عن العصور السابقة .
٦. يطور قدراته في قراءة وتذوق الإبداع الأدبي في العصر العباسي الأول.

*المصادر والمراجع:

١. الأغاني. لأبي الفرج الأصفهاني.
٢. تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري. نجيب محمد البهيتي.
٣. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري. محمد مصطفى هدارة.
٤. دراسات في النص الشعري العباسي. عبده بدوي.
٥. ديوان أبي تمام. شرح التبريزي وشرح الصولي.
٦. ديوان أبي نواس. تحقيق فاغنر.
٧. ديوان ابن المعتز. شرح الصولي.
٨. ديوان بشار بن برد. تحقيق الطاهر بن عاشور.
٩. الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري. أحمد عبد الستار الجواري.
١٠. الشعر والشعراء في العصر العباسي . مصطفى الشكعة.
١١. شعراء عباسيون منسيون. إبراهيم النجار.
١٢. طبقات الشعراء . ابن المعتز.
١٣. الفن ومذاهبه في الشعر العربي . شوقي ضيف.
١٤. في الأدب العباسي - الرؤية والفن . عز الدين إسماعيل
١٥. معجم الشعراء العباسيين. عفيف عبد الرحمن.

مدخل الدراسة

ينتمي العباسيون إلى نسل العباس بن عبد المطلب بن هاشم؛ عمّ نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم، وقد توفي رضي الله عنه سنة ٣٢ هـ عن عمر يناهز ٨٨ سنة في عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه، ومن ولده؛ عبد الله بن العباس، وهو جد الخلفاء العباسيين، وقد وُلد قبل الهجرة بسنتين، ولما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم كان عمره ١٣ سنة، وقد دعا له الرسول - صلى الله عليه وسلم، فقال : "اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين" ، و قد توفي سنة ٦٨ هـ .

وكان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس هو أول شخصية من بني العباس تتولى المعارضة السياسية والتخطيط للثورة ضد الخلافة الأموية، وقد توفي سنة ١٢٥ هـ، بعد أن وضع أساس الخروج على الأمويين سياسيا وعسكريا؛ ابتداء بمركز الدعوة في الحميمة ببلاد الشام، ثم تأسيس الجناح العسكري في خراسان ببلاد فارس.

ثم تولى قيادة الدعوة العباسية من بعده ابنه إبراهيم وهو أول من تلقب بالإمام في قيادة العباسيين إلى سدة الحكم، وقد أخذ على عاتقه استكمال المسيرة التي خطط لها أبوه؛ فعين جعفر بن سليمان المعروف بأبي سلمة خلال كبيرا للدعاة في الكوفة، ليزداد أتباع العباسيين في المناطق المشتعلة والغاضبة ضد الخلافة العباسية. كما عين أبا مسلم الخراساني قائدا للدعوة في خراسان، وكان ذكيا فطنا، استطاع بذكائه أن يكثر من الأتباع، ومن ثم أصبحت خراسان مركزا لإعداد الجيش العباسي تمهيدا للانقضاض على زمام الأمر من يد الخلافة الأموية والتي أصبحت تعاني من الرفض وكثرة الثورات الدامية ضدها.

لما عرف الخليفة الأموي مروان بن محمد خبر الدعوة العباسية ضده؛ استقدم إبراهيم الإمام ولكنه أنكر، فسجنه حتى مات في سجنه سنة ١٣٢ هـ . فقام بالأمر من بعده أخوه أبو العباس عبد الله بن محمد المعروف بالسفاح (ابن الحارثية) وجمع مساعديه وذهب إلى الكوفة خفية في حماية أنصار العباسيين حتى لا ينكشف أمره أمام الخليفة الأموي مروان بن محمد ، فيصبح مصيره نفس مصير أخيه إبراهيم (الإمام).

انتظر أبو العباس السفاح اللحظة المناسبة للقضاء على الخلافة الأموية التي أنهكتها كثرة الثورات ضدها؛ وخاصة من الشيعة والعلويين في بلاد العراق وما حولها، ثم أمر أبا مسلم الخراساني أن يتحرك

بجيشه ، للسيطرة على البلاد من يد الأمويين ؛ فقسم الجيش قسمين، ثم أمرهم بالمسير باتجاهين مختلفين على أن يلتقوا جميعا في الكوفة حيث مخابأ الخليفة المنتظر - أباى العباس السفاح- ، وكان الهجوم عنيفا فسقطت مدن الخلافة الإسلامية الواحدة تلو الأخرى ؛ حتى التقت الجيوش في الكوفة بالعراق، وكان الخليفة العباسي في انتظارهم في جمع من أتباعه وأنصاره، فبايعه أبو مسلم بالخلافة، ثم تبعه أبو سلمة خلال الذي أصبح أول وزراء الدولة العباسية الناشئة.

ولما بويع السفاح بالخلافة في الكوفة، ذهب إلى المسجد الجامع بها، ثم صعد المنبر ، وألقى خطبته المشهورة معلنا الخلافة العباسية ، ودعا إلى نفسه، وخلع مروان بن محمد من الخلافة، وتلك بداية نهاية الخلافة الأموية .

أما الخليفة الأموي مروان بن محمد فقد كان في الموصل على رأس جيشه، فقد وجه له الإمام (السفاح) جيشا بقيادة عمه عبد الله بن علي ، فالتقى الجيشان عند نهر الزاب، وكانت معركة حامية، كثر فيها القتلى كثرة مفرطة، وفيها انتصر العباسيون، وقد سُميت المعركة (معركة الزاب الكبرى)، لأنها كانت النهاية الحقيقية للخلافة العباسية، ولما انكسر جيش مروان بن محمد الخليفة الأموي، هرب بالبقية الباقية من جيشه إلى مصر، فتبعه العباسيون من مدينة إلى أخرى ومن قرية إلى قرية، ولما وصل بعد المطاردة الشرسة إلى قرية أبي صير على مشارف صعيد مصر؛ تمكنوا منه ، فقتلوه ومن كان معه من الجيش الأموي، وبعدها بايعت بقية الولايات المسلمة الخليفة العباسي على الخلافة، ولم يخرج عن هذه المبايعة سوى بلاد الأندلس؛ فقد بقيت في يد الأمويين، حيث تمكن عبد الرحمن الداخل _آخر خلفاء بني أمية في المشرق العربي- من النجاة من قبضة العباسيين والوصول إلى الأندلس، وهناك أعلن الخلافة الأموية من جديد وأسس لعصور تالية مزدهرة في بلاد الأندلس بعيداً عن الخلافة العباسية وبطش العباسيين ببني أمية في المشرق العربي.

عاصمة الخلافة:

لما أعلن أبو العباس صراحة الخلافة العباسية من المسجد الجامع بالكوفة، ودعا الناس إلى مبايعته؛ شعر الشيعة والعلويون بأن أبناء العباس خدعهم وغرروا بهم، لكي يساندوهم في دعوتهم لإسقاط الخلافة الأموية؛ وكانت دعوتهم بزعم (تولية خليفة عادل من أهل البيت)، فثاروا ضد السفاح بالكوفة، وكادوا يقتلونه، فاحتمى بمعسكر الجيش الخراساني، وتحول من فكرة اتخاذ الكوفة عاصمة للخلافة،

فاختار بلدة صغيرة بعيدة عن الكوفة وجعلها عاصمة له، ولما تولى المنصور الخلافة؛ رأى أن يبتعد بعاصمته الجديدة عن الكوفة مركز العلويين من قديم حتى يأمن على نفسه ، وحتى يعزل جنده عن أهلها ، فاختار مكان بغداد ، واختلف في اسمها وقيل : أصله فارسي ، وقيل إنه آرامي ، وسماها المنصور : دار السلام أخذاً من قوله تعالى " لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون " ، وقد وضع المنصور أول لبنة بيده سنة ١٤٥هـ، وانتهى البناء سنة ١٤٩ هـ . وقد أصبحت بغداد أهم مدينة في العالم الإسلامي وفيها مئات المساجد ، وعشرات القصور الفخمة.

ولما كثر جنود المعتصم في بغداد ، وأخذوا يضايقون الناس في الشوارع ، رأى ان يبتني لهم عاصمة جديدة، على أن تكون خاصة بالجند وأعمال الجيوش، فبنى لهم سامراء وسماها : سر من رأى ، ثم انتقل المعتصم إليها وأقام الخلفاء أمور الخلافة من بعده فيها حتى سنة ٢٧٦ هـ ، ثم تحولوا إلى بغداد مرة أخرى .

تحولات الخلافة:

يعتبر الباحثون أن الفترة (٢٣٢/١٣٢هـ) تمثل عصر القوة وسيطرة الخلافة العباسية على مقاليد الأمور، وفيها يشيع حب الخلفاء للعلم والأدب، وإجلالهم للعلماء والأدباء وطلاب العلم وتشجيعهم على البحث والتدوين والتأليف والترجمة، وبخاصة في أيام الرشيد والمأمون، مما جعل هذا العصر يعد العصر الذهبي لنفوذ الخلافة العباسية، كما يعد عصر النشأة العلمية في مختلف العلوم اللسانية والشرعية والفلسفية وغيرها.

وقد ظهر في هذا العصر كثير من الشعراء الأفاضل العلماء، فاتجهوا بالشعر اتجاهاً ؛ تميز باعتماد الشعر على العقل قبل اعتماده على العاطفة ، وممن يمثلون هذا الاتجاه زعيم المجددين أبو تمام الطائي هذا. وفي الجانب الآخر؛ احتفظ بعض الشعراء بالمذهب القديم في الشعر ، وممن يمثلون هذا المذهب : مروان بن أبي حفصة ، والعتابي ، ومنصور النمري .

وقد ظهر في هذا العصر أثر الحضارة الفارسية في العادات والتقاليد والملبس والمأكل والمشرب ، ومال في معظمه إلى الإسراف في حياة الترف واللهو والغناء ، وأصبحت البيئة صالحة لنمو كثير من المفاصل الاجتماعية و مظاهر اللهو والمجون تأثراً بالحضارة الفارسية . وقد ظهر اتجاه في الأدب يمثل هذه الحياة اللاهية لم يعن بالأغراض الجادة التقليدية قدر عنايته بموضوعات تشغل أذهان الناس،

فمال أصحابه إلى اللهو والمجون والنزع إلى المغامرة والملذات والشهوات، وقد ظل أصحاب هذا الاتجاه حريصين على هذا الأداء، ولم ينحرفوا عن طلب الجزل من الألفاظ والجيد من العبارات ، وحرصوا في الوقت نفسه على تحقيق الشعبية في الموضوع . ومن أشهر شعراء هذا الاتجاه: حماد عجرد ، وبشار بن برد ، ومطيع بن إياس ، وهم من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وأبو نواس ، ومسلم بن الوليد ، والحسين بن الضحاك .

ولم يكن هذا التيار الماجن يخلق بمفرده في ساحة الأدب العباسي ، بل انتشر تيار مضاد له يحاول أن يرد الأمور إلى نصابها الطبيعي ؛ وهو تيار الزهد والورع والتصوف، ووقد ظهر هذا التيار كرد فعل للحياة اللاهية الماجنة ، وعبر الشعراء عن زهدهم في قصائد ومقطوعات شعرية ، واشتهر بذلك من الشعراء : أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم المتوفى سنة ٢١١ هـ، كما كثر المبدعون فيه في مختلف المجتمعات العباسية.

إذا كانت الفترة المشار إليها آنفا تمثل العصر الذهبي للخلافة العباسية ، فإن الأمور لم تستقر عند هذا الحد، فقد كثر الأتراك في البلاد، إذ استقدمهم الخليفة المعتصم للبلاد ليكسر بهم شوكة النفوذ الفارسي في مفاصل الدولة، ولما كثروا كثرة مفرطة عاثوا في الأرض فسادا، وخاصة بعد موت المعتصم، ولذلك يعتبر النقاد أن الفترة (٢٣٢/٣٣٤هـ) تمثل عصر النفوذ التركي فقد تمكن الأتراك من العبث بهيبة الخلافة، وقضوا على السلطان الحقيقي للخليفة، فعينوا من أردوده، وقتلوا من خالفهم وعاندتهم ، بل وسملوا عيونهم، وحبسوهم وعذبوهم، فضاع سلطان الخلافة ولم يبق منه سوى اسم الخليفة.

وقد انحسرت موجة الحضارة في فترة النفوذ التركي، وكثرت الفتن والثورات وكثر الفساد والرشوة ومصادرة الأموال ، وأطمع هذا الفساد ولاية الأقاليم فانفصلوا عن جسم الخلافة . ولم تستمر حركة الازدهار الأدبية السابقة، ولولا ظهور بعض الشعراء والكتاب الذين وهبهم الله نبوغا وعبقرية لخلا هذه الفترة من كل نابغ في ميدان الأدب، ويقف على رأسهم : البحتري ، وابن الرومي ، وعبد الله بن المعتز، وعلي بن الجهم . ومن الكُتَّاب : الجاحظ ، وابن قتيبة، فظهرت بعض المعاني الذهنية ، والعبارات الفلسفية ، لإقبال الشعراء على علوم الأقدمين التي ترجمت في المدة السابقة؛ فوصل مذهب البديع في الشعر إلى قمة نضجه على يد الشاعر عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ. كما اتجه

بعض الشعراء إلى الطبيعة ومشاهد الحضارة ، ونبغوا في وصفها، وكان على رأس هؤلاء: البحتري المتوفى سنة ٢٨٤ هـ وعلي بن الجهم المتوفى ٢٤٩ هـ.

ولما استولى بنو بويه الفرس على بغداد؛ تحكموا في مقاليد الدولة خلال الفترة (٣٣٤/٤٤٧هـ)، فتغيرت الأحوال وتبدلت الظروف ولم يبق للخليفة سلطان سوى لقب الخليفة، واستمر الأمر حتى استولى الأتراك السلاجقة عليها، وأبرز ما يلاحظ على هذه الفترة : النهضة العلمية الواسعة ، وكثرة الدول والممالك المستقلة عن جسم الخلافة العباسية ، والتنافس الشديد بين هذه الدول والإمارات ، وتقريب الحكام للشعراء والعلماء مما أدى إلى ازدهار العلوم والآداب، ومن أشهر شعراء هذا العصر : المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ، وأبو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩ هـ.

ولما صارت مقاليد الأمور في يد الأتراك؛ اتجهت الخلافة العباسية إلى الذبول والانكسار؛ فقد تحولت الخلافة إلى دويلات صغيرة، تقوم على حب الذات، والطمع فيما يجاورها، وذلك خلال الفترة (٤٤٧/٦٥٦هـ)، ليس لهذه الفترة أثر كبير في نهضة العلم والأدب ولم يترك طابعا مميزا في الحياة الأدبية، حتى دمر المغول (التتار) بغداد عام ٦٥٦هـ؛ فغريت شمس الخلافة العباسية إلى الأبد.

حالة الأدب العباسي:

نهض الأدب شعره ونثره نهوضا واضحا في العصر العباسي الأول؛ ولذلك أطلق الباحثون على هذا العصر (العصر الذهبي)؛ وقد أثرت بعض العوامل في مسار وحركة الأدب في العصر العباسي الأول؛ منها ما يلي:

أولاً: الحركة العلمية والثقافية :

١ – الكتاب (دار التعلم):

لعب الكتاب دورا بارزا في حفظ القرآن وتعليم الناشئة مبادئ القراءة والكتابة والحساب، فقد كان الطفل يبدأ حياته المعرفية بالتعلم في الكتاتيب؛ فيتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ويحفظ القرآن الكريم، وشيئا من الحساب، وبعض الأشعار والأمثال، والسنن والفرائض، والنحو والعروض واللغة ومعجمها، وكان يقوم بهذه المهمة معلمون مهرة، أصبحوا في المستقبل علماء الأمة البارزين الذين حفظوا لها ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وتورد بعض كتب التراث أسماء كثير من هؤلاء المعلمين، مثل : أبي البيداء

الرياحي اللغوي ، وغيره . كما تورد هذه الكتب أسماء بعض معلمي أبناء الخاصة من الخلفاء والأمراء ، مثل : المفضل الضبي معلم المهدي ، وهو من اختار له المفضليات . والكسائي معلم الرشيد وابنيه الأمين والمأمون . وقطرب مؤدب الأمين ، وأبناء أبي دلف العجلي قائد المأمون المشهور . وعلي بن المبارك الأحمر أحد مؤدبي الأمين . واليزيدي يحيى بن المبارك مؤدب أبناء يزيد بن المنصور الحميري خال المهدي . والفراء معلم أبناء المأمون .

٢ - الأسواق :

لعب السوق دورا مهما جدا في حياة الأدب العربي ، فهو ملتقى العمل والتجارة والفكر والإبداع والتنافس بين المبدعين وبعضهم ، أو بين العلماء وأترابهم ، وأشهر وأهم هذه الأسواق سوق المربد في البصرة ، حيث كان يلتقي فيه الشعراء والعلماء والفصحاء من البدو ، ويلتقي الشباب بهم ، ويتحدثون إليهم ، تمرينا لألسنتهم ، وتربية لأذواقهم ، ومحاولة لاكتساب السليقة العربية المصفاة من شوائب العجمة ، وكان أبو نواس يكتب على الألواح ما يأخذه عن الأعراب في السوق .

٣ - المساجد :

لم تكن المساجد للصلاة فقط وإنما كانت ساحات العلم الكبرى ، ومعاهد لتعليم الشباب الذين كانوا يتحلقون حول الأساتذة ، وكان هناك حلقة لكل عالم ، وكانت حلقات الفقهاء من أكبر حلقات العلماء . وقد أدت هذه الحلقات إلى ظهور ظاهرتين كبيرتين هما :

أ - كثرة العلماء المتخصصين في كل علم وفن .

ب - نشأة طائفة من العلماء والأدباء الذين نوعوا معارفهم تنوعا واسعا ، فقد كانوا يدرسون في حلقات مختلفة ، فأخذوا بطرف من كل لون من ألوان المعرفة وكان يطلق عليهم اسم : المسجدين ، وكانت لهم حلقات للجدال والنقاش في المساجد . وقد أغدق الخلفاء والأمراء الأموال على هؤلاء العلماء ، وعلى الخصوص المهدي والرشيد والمأمون ، وكان ذلك من أهم أسباب ازدهار الحركة العلمية في المساجد .

٤ - الوراقة والنسخ :

كان الناس يكتبون على الجلود، والقراطيس المصنوعة في مصر من ورق البردي، وقد أنشئ في عهد الرشيد أول مصنع للورق في بغداد ، فانتشرت الكتابة، واتسعت صناعة الوراقة، واتخذ العلماء لأنفسهم وراقين ينقلون عنهم كتبهم؛ وينسخونها ثم يذيعونها بين الناس .

وقد أنشأ الرشيد مكتبة ضخمة؛ هي دار الحكمة، وكانت جامعة كبرى للعلوم والآداب. كما قد أنشأ بعض الأفراد مكتبات خاصة بهم؛ مما يدل على أن الكتب أصبحت مادة أساسية للمعرفة . وقد أقبل الناس على الكتب بأنواعها، فكثر دكاكين الوراقين لبيع الكتب والقراءة فيها .

٥- مجالس العلم:

دأب خلفاء الدولة العباسية والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة على عقد مجالس العلم في بلاط الخلافة وفي قصور كبار الدولة؛ وقد تحولت هذه المجالس إلى ما يشبه ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صنف، فكان مجلس المأمون ساحة واسعة للجدال والمناظرة . واشتهرت بعض المجالس الخاصة مثل مجالس الفلاسفة والمتكلمين . فأصبحت أزواد المعرفة والثقافة مطروحة في الطريق وفي كل مكان، وكان كثير من الشعراء والعلماء من أبناء الطبقة الدنيا في المجتمع، مثل بشار بن برد؛ الذي كان أبوه طيانا يضرب الطوب اللبن، وكانت أم أبي نواس غزالة للصوف، وكان أبو العتاهية بائعا للجرار والخزف ، وكان مسلم بن الوليد حائكا ، وأبو تمام كان أبوه عطارا .

وكانت العامة تصيب حظوظا مختلفة من العلوم والمعارف والثقافات، فاستطاعوا استيعاب الثقافة الأجنبية، وأضافوا إليها من عقولهم وقلوبهم الكثير والكثير؛ مما دعم الحضارة العربية الإسلامية بما أحدثوا من علوم، وبما كتبوا من آثار عقلية وقصائد شعرية .

٦ - حركة الترجمة :

نشط المترجمون، وازدهرت الترجمة من وإلى العربية ازدهارا واضحا في العصر العباسي الأول، ولهذا النهوض أسبابه ومبرراته ؛ وأهم هذه الأسباب:

- تشجيع الخلفاء للعلماء وطلاب العلم على الترجمة بما كانوا يؤدونه إليهم من بيت المال.
- التنافس بين العلماء لخدمة العلم والفوز برضا الخلافة.

- رأى المسلمون في العصر العباسي الأول أنه لا بد من استناد أمور الدولة إلى العلم .
- أحس المسلمون حاجتهم إلى محاربة غير المسلمين بآلاتهم فترجموا الفلسفة والمنطق .
- تقرب العلماء الأعاجم إلى الخلفاء بترجمتهم الكتب إلى اللغة العربية.
- ميل كثير من الخلفاء إلى العلوم الفلسفية الحديثة .
- ظهور صناعة الورق وما تبعها من النسخ وبيع الكتب المؤلفة أو المترجمة.

لقد درج الباحثون على أن يعدوا المرحلة الممتدة من بداية العصر العباسي إلى ما بعد ذلك بنحو مائة وخمسين عاما مرحلة الازدهار والنشاط في ترجمة علوم اليونان والفرس إلى اللغة العربية؛ ويؤكد ذلك ما قيل عن أبرز ملامح هذا النشاط، وهو على النحو التالي:

أ - خلافة المنصور : ترجمت كثير من كتب التنجيم والفلك الهندية واليونانية والفارسية .

ب - خلافة الرشيد : نشطت حركة الترجمة في عهده نشاطاً ملحوظاً؛ فقد أنشأ دار الحكمة، ووظف المترجمين فيها، وجلب الكتب إليها من أنحاء العالم حتى تترجم ؛ فقد ترجمت في عهد الرشيد الكثير من كتب الطب والزراعة، والتراث الفارسي إلى اللغة العربية، وقد ساعد البرامكة على نشاط حركة الترجمة في عهد الرشيد؛ إذ اعتنوا بترجمة الكتب الطبية والبلاغية والأساطير والخرافات وما يعجب العامة .

ومن أشهر الكتب المترجمة في عهد الرشيد: كتاب ألف ليلة وليلة، وكتاب كليلة ودمنة على السنة الحيوانات، وقد نظمه أبان بن عبد الحميد اللاحقي في أربعة عشر ألف بيت من الشعر، وكان ابن القفح قد ترجمه نثراً في بداية العصر العباسي .

ج - خلافة المأمون: تعتبر خلافته أزهى عصور الترجمة، وخاصة للكتب اليونانية، فقد تحول بيت الحكمة في عهده إلى معهد علمي كبير، فقد أحضر الكتب من خزانة ملك الروم، ومن خزانة صاحب جزيرة قبرص، وجعل سهل بن هارون خازناً لها . ومن أشهر المترجمين في عهده: حنين بن إسحاق وكان على علم بالسريانية والعربية ، وعبد المسيح بن عبد الله بن ناعمة الحمصي، والخوارزمي، وكان من أكبر علماء الرياضيات ، ويوحنا بن ماسويه، وكان من أنبغ العلماء في الطب.

لقد أصبح العقل العربي عقلاً علمياً من حيث فهمه لعلوم الأوائل، ومن حيث إسهامه فيها وإضافة العلوم الجديدة، حتى أنه أضاف لأول مرة علوماً في تاريخ الحضارة الإنسانية مثل علم الجبر .

ثانيا : الشعوبية :

وردت آراء كثيرة في أصل هذه الكلمة، وأشهرها ما ورد في تفسير قوله تعالى " يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ... " الآية؛ فقد قال جمع من المفسرين : إن القبائل هنا هي العرب ، والشعوب هي العجم ، وأيا كان مدى صحة هذا التفسير فالشعوبية نسبة إلى الشعوب . وهم أولئك الذين ينتمون إلى تلك الشعوب التي اعتنقت الإسلام وينكرون على العرب أي فضل يتميزون به، وقد انتشر هذا التيار بين الأعاجم ضد العرب، وقد وقف عدد كبير من أعلام العرب للرد على هؤلاء الشعوبيين، منهم الجاحظ وابن قتيبة.... ، وغيرهما من علماء العربية الأوائل.

وكان التطور الخطير في مقاليد الحكم العباسي ومكانة الفرس العالية في هذا العهد؛ سببا في بروز نزعة الشعوبية، وخاصة بين الشعراء الذين هم من أصل أعجمي في العصر العباسي الأول، فقد أخذوا يفخرون بأنفسهم، ولم تكن نزعة الشعوبية مقصورة على أبناء شعب من غير العرب دون شعب آخر، فقد كان منهم الفرس والنبط والقبط والذين أسلموا في الأندلس.. وغيرهم ، وهؤلاء هم الذين قادوا الهجوم المعنوي على العرب، فقد كانوا من أبناء هذه الشعوب جميعا . وهذا النوع من الصراع الاجتماعي أدى في النهاية إلى انتشار ثلاث نزعات في المجتمع العباسي عامة:

أ - النزعة الأولى: تذهب إلى أن العرب خير الأمم ولهم في ذلك حجج وبراهين.

ب - النزعة الثانية: تذهب إلى أن العرب ليسوا أفضل من غيرهم، ولا أية أمة أفضل من أمة أخرى، وكانوا يسمون بأهل التسوية، وهي نزعة غير منظمة تسترت باسم الدين؛ لأن التفوق كان ما يزال للعرب، وشعار التسوية أيضا شعار إسلامي ينادي به الإسلام .

ج - النزعة الثالثة: تميل إلى الحط من شأن العرب وتفضيل غيرهم من الأمم عليهم، ولهم في ذلك حججهم

وقد أطلقت لفظة الشعوبية على النزعتين الأخيرتين؛ لأن الثانية تسترت باسم الدين والدليل على ذلك أنها اختفت بعد أن أصبحت النزعة الثالثة منظمة .

وفي ذلك يقول الجاحظ : الشعوبية تتحلى وتتستر باسم أهل التسوية . وعلى كل حال لم يعرف هذا المصطلح إلا في العصر العباسي، ومن ثم أصبحت الشعوبية حركة فكرية اجتماعية قامت بها جماعات

غير عربية بهدف ضرب الكيان العربي الإسلامي من خلال ثقافته وإرثه الحضاري وذلك : بالتقليل من شأن العرب، ومهاجمة التراث العربي الإسلامي، والتشكيك بدور العرب التاريخي، والاستهزاء بالقيم والمثل العربية الإسلامية . ولذلك كثرت طوائف الشعوبية المتطرفة؛ ومنهم :

أ - رجال السياسة الذين يريدون الاستئثار بالحكم دون العرب.

ب - القوميون الذين استشعروا قوميتهم ضد العرب الذين فتحوا بلادهم وقوضوا حكمهم .

ج - المجان والخلعاء الذين أعجبته مظاهر الحياة الأجنبية وما اقترن بها من خمر ومجون وإباحية.

د - الملاحدة الزنادقة، وهم أشدهم؛ لأنهم كانوا يبغضون الدين وكل ما اتصل به من العرب وغير العرب .

لقد كثر الشعوبيون كثرة مفرطة بلا رادع لهم في العصر العباسي ؛ ومن أبرز هؤلاء الشعوبيين في العصر العباسي الأول:

- رجال الفرس الكبار مثل البرامكة وآل سهل وآل طاهر.
- علماء لغة وشعراء وأدباء من أمثال: معمر بن المثنى أبو عبيدة اللغوي الإخباري، وعلان الشعوبي، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي، والهيثم بن عدي، وبشار بن برد وهو أهم شاعر أوقد نار الخصومة وكان في العصر الأموي يفخر بمواليه العرب وفي العهد العباسي تبرأ من العرب ونسب ولاءه إلى العجم، ومضى يشن حرباً عنيفة ضد العرب .
- أبو نواس الحسن بن هانئ ، وشعوبيته الناشئة من حبه للخمر والمجون .
- أبو يعقوب الخريمي ، وبعض شعراء النبط والهند مثل أبي الأصلع الهندي .

لقد شوه دعاة الشعوبية الثقافة العربية الإسلامية، وحاولوا بكل ما لديهم من معرفة وثقافة وفن أن يحطوا من شأن العرب مقارنة بأصولهم الأعجمية، ومن ذلك:

أ - ترجمة التراث الفارسي إلى العربية لجعله بديلاً.

ب - التأكيد على التاريخ والثقافة الفارسية وإظهارها بمظهر المتفوق على التاريخ والإرث العربي .

ج- كتابة مؤلفات جديدة تظهر أهمية العجم وتمجد دورهم التاريخي .

د - اختلاق القصص الغربية في الأدب العربي لجعلوها شرحا للأشعار والأمثال .

هـ - نسبوا الشعر إلى غير قائله، ونحلوا الشاعر ما لم يقله من شعر .

و - فسروا القرآن الكريم بآرائهم الخاصة كما كان أبو عبيدة يفعل .

ز - في مجال الحديث الشريف اختلفوا الأحاديث التي ترفع من شأنهم والتي تفسد على الناس عقيدتهم .

ح - ترجموا كتب عقائدهم القديمة كالمناوية والمزدكية يبعون بها بث هذه المعتقدات على الفكر العربي الإسلامي .

لقد كانت الشعوبية حربا على العرب موجهة إلى تراثهم التاريخي والأدبي ، بل موجهة إلى الإسلام نفسه، وتهيأت لها الظروف المادية لإنشاء دويلات فارسية القومية والطابع على أنقاض الدولة الإسلامية.

ولكن الروح العربية الإسلامية لم تضعف بل ظلت شامخة مسيطرة، وقد رد بعض الشعراء العرب على الشعوبية وأصحابها حتى بعض الموالى نذروا أنفسهم للرد على أولئك الشعوبية مثل ابن قتيبة والجاحظ اللذين كتبا كثيرا في الرد عليهم.

ثالثا : الزندقة :

اختلف الباحثون حول المدلول اللغوي للزندقة، وتنحصر التفسير الرئيسية فيما يأتي :

أ - إن كلمة " زنديق " بكسر الزاي ، معربة من زنديك ، بفتح الزاي الفارسية ، وهو الذي ينحرف عن الأفاستا كتاب زرادشت ، ويتبع الزند التي هي شروح وتفسير للأفاستا .

ب - مشتقة من الصديقين الآرامية التي تدل على الزهاد من المناوية ثم انتقلت محرفة إلى العربية .

ج - مشتقة من " زندا " التي وردت في الأفاستا لتعني السحر .

د - مشتقة من " زن دين " بمعنى دين المرأة لأن المرأة لا يمكنها أن تؤدي الفرائض الدينية دائما .

هـ - مشتقة من " زندكر " الفارسية وهي تعني " الدهري " أي القائل ببقاء الدهر .

و - على ما يبدو أن التفسير الصحيح لمعناها أنه كان بين طبقات المانوية طبقة تسمى " الأحرار " وهم الذين لم يلتزموا تعاليم المانوية القاسية من زهد وتقشف ورهبة وطبقة تسمى " الصديقين " أي المخلصين المؤمنين ، وهم الذين يلتزمون تعاليم المانوية ويؤثرون الزهد والصيام والتغلب على الشهوات ويتركون اللحم والخمر والزواج .

كلمة "صديق " بتشديد الدال ، في العبرية نفس اللفظ والمعنى ، وهي بالآرامية والسريانية " زديق " بفتح الزاي ، وقد تأثرت اللغة الفارسية الفهلوية بالآرامية وحرفت الكلمة ونطقت " زنديق " بفتح الزاي، ثم نقلها العرب وكسروا الزاي انسجاما مع الدال المكسورة " زنديق " بكسر الزاي .

ولكن ما الزندقة ؟ الزندقة حركة منظمة ينادي أصحابها بنشر مذهب المانوية بكل ما يحتويه من عقيدة دينية وتراث فكري فاسد ، وتتعهده باعتداده بديلا للعقيدة والتراث العربي الإسلامي ، بل باعتداده مجالا للتفاخر به أمام تراث العرب ودينهم، وهؤلاء هم الزنادقة الذين حاربتهم السلطة الفارسية لكونهم نادوا بآراء تهدد العقيدة والمجتمع .

ولقد اشتد خطر هؤلاء الزنادقة في عصر الدولة العباسية، فحاربتهم الخلافة ووقفت لهم بالمرصاد؛ فمن كانت تثبت زندقته يقتل، فالخليفة المهدي اتخذ ديوانا خاصا لتعقبهم وقتلهم، كما أوصى ابنه الهادي بتعقبهم وقتلهم . وقد قتل الهادي مجموعة كبيرة منهم . وكذلك فعل الرشيد الى تعقبهم وقتل مجموعة منهم .

أما الخليفة المأمون فكان يتعقبهم ويحضرهم مجلسه وينظرهم بنفسه أو يطلب من المتكلمين مناظرتهم ، فإذا لم يرتدعوا قتلهم، وقد قتل في يوم واحد عشرة أشخاص لرفضهم العودة إلى الإسلام . وكذلك فعل الخليفة المعتصم، فقد كان يتعقبهم ويقتلهم ، وقد قتل قائده الأفشين لما تيقن من زندقته.

وقد ألف العلماء كتبا كثيرة للرد عليهم وإفحامهم ، ومن الذين فعلوا ذلك : أحمد بن حنبل ، والمسعودي ، وأبو محمد هشام بن الحكم ، والنوبختي ، وأبو عثمان الرقي ، والجاحظ ، وغيرهم ...

وقد كان للشعوبيين الأثر الأكبر في ظهور الزندقة ، لأنهم كانوا يهدفون إلى تحطيم معنويات المسلمين، ودس الأكاذيب والمفتريات في أصول دينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا؛ حتى ينتقموا لأصولهم الفارسية ومذاهبهم ومعتقداتهم القديمة .

ومن الذين اتهموا بالزندقة عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي أضاف آلاف الأحاديث على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قتل في عهد المنصور، وكذلك أبو دلامة، ومطيع بن إياس، وحمام الراوية، وحمام الزبرقان ... وغيرهم... ، ومن ذلك ندرك أن الشعوبية والزندقة أصبحتا تكونان اتجاهًا كبيرًا في الأدب العربي يظهر لأول مرة في تاريخه .

فالشعوبية نزعة عدائية بين العرب والعجم، و الشعوبيون: هم أعداء العرب من الفرس والروم ، وأولاد الكياسرة والقياصرة ، المستطيلون بأمجادهم على العرب . وهذا النوع من العداء كان مكبوتًا في العصر الأموي ، وتنفس في العصر العباسي ، وذلك حين تساهل الخلفاء مع الموالي ردًا للجميل ؛ لمناصرة الموالي لهم في الوصول إلى الحكم ، واستغل الموالي ذلك ، ولم يسكت العرب عن الرد ، وسجل الشعر ذلك كله ، فيما يعرف بـ: (النقائض الشعوبية) ، كقول بشار بن برد:

أنا ابن الأكرمين أبا وأما	تنازعني المرازب من طخار
إذا انقلب الزمان علا بعد	وسفل بالبطاريق الكبار
أحين كُسيَت بعد العُري خرا	ونادمت الكرام على العقار
تفاخر يا بن العم راعية وراع	بني الأحرار ! حسبك من صغار

رابعاً : الزهد :

الزهد فكرة عميقة يعتنقها الشاعر فتتغلغل في كيانه ، ويتلبس بها شعره ، فلا يكاد يصور الشاعر غيرها من أحاسيس النفس ، ولا يكاد ينحرف عنها إلى غرض من أغراض الشعر التي يخوض فيها جميع الشعراء . فالزهد سلوك إنساني وقد أصبح في العصر العباسي ظاهرة مستفيضة .

لقد كان الزهد في الطرف المعادل للإسراف والانغماس في ملذات الحياة، ومن ثم فإنه يرتبط به كثرة أو قلة أو انتشارا أو تقلصا .

لقد كانت المساجد عامرة بالزهاد والنسك وأهل التقوى والصلاح في كل ركن حلقة لواعظ يذكر الناس بالله واليوم الآخر . وقد اقتحم بعض الوعاظ قصور الخلفاء مثل الشاعر الواعظ عبد الله بن المبارك وكان يدخل على المأمون فيصلّي معه الفجر ويدرس عليه المأمون ثلاثين آية، وكان عمرو بن عبيد

واعظا للمنصور . وكان صالح بن عبد الجليل واعظا للمهدي . وكان ابن السماك واعظا لهارون الرشيد .

لقد أصبح الوعظ متلازما مع القصص للعة والعة منذ القدم ، وقد تكامل هذا القصص في العهد العباسي . وبجانب هؤلاء القصاص كان كثير من النساك يحيون حياة كلها زهد وتشف وعبادة ويبتعدون عن ملذات الحياة انتظارا ليوم القيامة حيث النعيم الأبدى .

لقد تأثر شعراء العصر العباسي الأول بحركة الزهد وطبيعته؛ فأصبح منهاجا لهم في الفن والحياة، فكثر الزهاد في العصر العباسي ، ومن أبرز شعراء الزهد في العصر العباسي الأول: أبو العتاهية ، وعبد الله بن المبارك، والفضيل بن عياض ، ومحمد بن كناسة ، ومحمود الوراق ، ومحمد بن يسير ، وسعيد بن وهب ، والعتابي، ويحيى بن المبارك اليزيدي ، وابن الخبازة ، وسلمة بن عياش ... وغيرهم، ومن الشعاعر : ربحانة ، وحيونة، وميمونة ... وغيرهن من شاعرات العصر .

ومن ذلك ندرك أن الزهد ليس بجديد ، فقد وجد منذ العصور السابقة ، وإنما الجديد هو ظهوره كفن أدبي مستقل ، له نزعة فلسفية واضحة ، ولعله جاء كرد فعل على المجون ، كقول أبي العتاهية :

لـدوا للموت وابنوا للخراب فكلم يصير إلى ذهاب

ازدهار الشعر

لقد ازدهر الشعر في العصر العباسي الأول ازدهارا واضحا، ومرجع ذلك أسباب عديدة؛ على رأسها الحياة العقلية، فقد ارتقت تلك الحياة العقلية في هذا العصر لعدة أسباب منها:

- الكتب المترجمة من الهندية والفارسية واليونانية، وبسبب المحاورات والمناظرات والمجادلات بين أصحاب المثل والنحل، مما دفع الشعراء والأدباء إلى التفكير المتصل حتى يصقل عقله، وما لم يعرفه يسأل عنه .
- استفادة الشعراء من الثقافات الواردة؛ وأهمها:

أ- الهندية : وقد انتقلت إلى العرب عن طريق الفرس ، فقد كانت الثقافة الهندية على اتصال قديم بالفرس ، وكذلك عن طريق من دخل الإسلام من الهنود واندمجوا في عرب العراق .

ب- الفارسية : وهي أكثر انتشارا للاتصال الوثيق بين العرب والفرس ، ولكثرة من دخل من الفرس في الإسلام ، وقد تأثروا كثيرا بالحكمة الفارسية من خلال كتابي ابن المقفع : الأدب الكبير والأدب الصغير .

ت- اليونانية : أثرها كبير وأعمق ، وقد فتحت أمام الشعراء أبواب الفكر الفلسفي وأبواب المنطق ومقاييسه وأدلتها ، وما بعثت فيهم من محاولات استكشاف دقائق المعاني .

ومنذ فتوح الإسكندر؛ بدأت الثقافة اليونانية تمتزج بعناصر شرقية وكونت ما يسمى بالثقافة الهيلينية ، ومن المعروف أن الإسكندر قد غزا مناطق كثيرة من الدول التي دخلها العرب ، وقد نشر ثقافة بلاده واختلطت بثقافة تلك البلاد ، فاتصلت العربية باليونانية ، فكأن العرب وقفوا على تراث الإنسانية بشكل عام ، لأن الثقافة اليونانية كان لها أثر كبير في الثقافة الإنسانية عامة.

- البادية : وقد أخذت تمد الحاضرة بكثير من الشعراء ذوي الفصاحة والبيان والسليقة اللغوية السليمة مثل : أبي البداء ، وابن الدمينه ، وابن ميادة ، وأبي حية النمري ، وأبي ضمضم الكلابي، والعماني، وأبي العميثل، وعمارة بن عقيل حفيد جرير . وقد تحول هؤلاء الشعراء إلى معلمين يعلمون الناشئة اللغة العربية السليمة ورواية الشعر القديم . كما تحولت السليقة إلى شعراء المدن ، ومن هنا اتصفوا بالفصاحة والبيان .

• علماء اللغة : شارك علماء اللغة الشعراء بتحويل السليقة اللغوية إلى شعراء الحضر ، إذ جمعوا لهم اللغة والشعر وبعثوا في نفوسهم أن الشعر القديم هو القدوة المثلى ، وكان من بين اللغويين شعراء بارعون ، من مثل : حماد الراوية ، والخليل بن أحمد ، وخلف الأحمر والأصمعي وغيرهم .

لقد عرض اللغويون نماذج الشعر القديم السهلة ، بالإضافة إلى تركيزهم على النماذج القديمة المليئة بالألفاظ الغريبة . فظهرت مجموعة من المدونين تختص بجمع الأدب وتدوينه، وكان من أهم ما دونوه ؛ مجموعتين للشعر القديم : المفضليات للمفضل الضبي، والأصمعيات للأصمعي . وتزخر قصائدهما بالغريب، وشرح العلماء كل القصائد القديمة، فانقادت اللغة لمعاصريهم من الشعراء وغير الشعراء .

• الأدباء والإخباريون: أما الأدباء والإخباريون فقد اهتموا بجمع الشعر وتدوينه؛ خوفاً عليه من الضياع، وكان لذلك الأمر أسبابه؛ وأهمها ما يلي:

١. سبب ديني: فقد اهتم العلماء بجمع الشعر وتدوينه؛ لتفسير القرآن الكريم والحديث الشريف .
٢. سبب سياسي : اهتم الخلفاء العباسيون بلغة القرآن الكريم، وحثوا علماء اللغة على دراستها وكل ما يتصل بها من أنساب وأيام ، وأخبار وأشعار ، إذ كان مقياس الوظيفة الكبرى مثل الوزارة وغيرها التفوق في اللغة العربية ، وأحضر الخلفاء لأبنائهم كبار الأساتذة من اللغويين ، فاختر المفضل الضبي المفضليات للمهدي ، وسرى في القصر العباسي ذوق محافظ أثر على الشعراء إذ كان لا بد لهم للتلاؤم معه للحصول على الجوائز الكبرى ، وكان علماء اللغة مثل الكسائي والأصمعي يحضرون مجالس الخلفاء .

وكان الشعراء يعرضون قصائدهم على علماء اللغة حتى يجيزوها ، فمن يمدحونه يطير اسمه ، ومن يذمونه ينسى ، وإذا وافق اللغويون على القصائد الجديدة أنشدوها الشعراء ، وإلا أعادوا تصحيحها وتنقيحها .

ويصور المرزباني في كتابه " الموشح " كيف كان الشعراء يعرضون شعرهم على علماء اللغة ، فهم صيارفة الشعر وقضاته ، يقول الخليل بن أحمد لابن مناذر : إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي ، وأنا سكان السفينة إن قرظتكم (مدحتكم) ورضيت قولكم نفقتم ، وإلا كسدتكم .

لقد سيطر علماء اللغة على سوق الشعر العباسي ، وتمسكوا بالقديم؛ لأنه هو القدوة المثلى ، فأسقطوا تبعاً لذلك كثيراً من الشعراء العباسيين . فأبو عمرو بن العلاء يختم الشعراء بذي الرمة والرجز برؤية . والأصمعي يختم الشعراء بابن ميادة وابن هرمة، وكان يتعصب للقديم لأنه قديم .

مظاهر تطور الشعر :

لقد شهدت معظم المجالات الشعرية تغيراً واضحاً في مضمونها؛ يتفاوت قلة أو كثرة من مجال إلى آخر، بل وقد ظهرت موضوعات جديدة، أثرت الحركة الشعرية بمضمونها وأساليبها، وفيما يأتي عرض موجز لأبرز الأغراض الشعرية القديمة التي شهدت تغيراً واضحاً في مضامينها :

أولاً: الأغراض والموضوعات:

١- المديح :

اشتق المديح في العصر العباسي مضامين جديدة بالإضافة إلى مضامينه القديمة؛ ويبدو ذلك من خلال رصد الملاحظات التالية:

أ . لم يلتزم شاعر المديح العباسي الدوران حول صفتي الكرم والشجاعة، وأخذ يلائم بين معاني المديح، وعمل الممدوح .

ب - تصوير المثالية الخلقية والمثالية السياسية ومثالية الحكم في شخص الممدوح، وخاصة الخلفاء وذوي الوجاهة والسلطان .

ج - تحول المديح من بعض الوجوه إلى تاريخ؛ فقد أصبحت القصيدة العباسية سجلاً عامراً بالأحداث والبطولات الكبرى، على نحو ما نجد في مدح أبي تمام للخلفاء وأصحاب السلطان.

د - اتخذ الشاعر من وصف الطبيعة عنصراً من عناصر قصيدة المديح ، وذلك مثل وصف جمال الطبيعة والرياض ومناظرها البهيجة مثل قصيدة أبي تمام في المعتصم ، ومطلعها :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حليه يتكسر

ومن هنا كان وصف الطبيعة يرد في قصيدة المديح تمهيداً للثناء على الممدوح .

هـ - أضاف الشاعر على المقدمات الطللية عناصر فكرية وعقلية وخيالية جديدة ، وكان بعض الشعراء يتركون الحديث عن الأطلال إلى القصور المأنوسة .

و - بث الحكم الملائمة لحياتهم في القصيدة المدحية ، وأضافوا كثيرا من تأملاتهم في الحياة .

ويعد أبو تمام مقدمة لابن الرومي والمتنبي بالنسبة إلى شعر الحكمة؛ إذ صب فيها كثيرا من شكوى الزمان وخطوبه ، وكانت مدائحه تسكب القوة في نفس كل عربي بما يصور فيها من بطولة الأبطال في الحرب وبما يودعها من فتوة عارمة .

٢ - الرثاء :

شهد موضوع الرثاء تجديدا واسعا في مضامينه ، وفيما يأتي عرض موجز لذلك :

أ - لقد كثر رثاء القواد والوزراء والخلقاء وتصوير البطولة والمجد والشرف وخسارة الأمة ، وبالإضافة إلى الحزن واللوعة ، كان رثاؤهم يشتمل على الحماسة والقوة وتمجيد الأبطال، مثل مراثي أبي تمام في محمد بن حميد الطوسي ، ورثاء عبد الله بن أيوب التيمي لمنصور بن زياد الذي قضى على ثورة للخوارج في عهد الرشيد .

ب - أكثر الشعراء في هذه القصائد من المعاني المبتكرة مثل قول مسلم بن الوليد:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

ج - انتشر رثاء الأصدقاء والإخوة والأبناء؛ مثل شعر العتبي في رثاء ابن له مات بعد موت أبناء آخرين ، ورثاء ابن الرومي في أبنائه .

د - ذاع رثاء الزوجات، مثل قصائد محمد بن عبد الملك الزيات في رثاء زوجته؛ مثل قوله :

يقول لي الخلان لو زرت قبرها فقلت : وهل غير الفؤاد لها قبر

هـ - رثاء المدن: وهو لون جديد من ألوان الرثاء في العصر العباسي، مثل رثاء بغداد وقت الفتنة بين الأميين والمأمون، وكان هذا الرثاء جديدا بكل معاني الكلمة، إذ إن علاقة الإنسان بالمدينة لم

تتوطد بالشكل الذي توطدت به في العصر العباسي . ومثل قصيدة أخرى للخريمي في رثاء بغداد تقع في ١٣٥ بيتا .

و - رثاء الطيور والحيوانات المستأنسة؛ مثل رثاء محمد بن عبد الملك الزيات لفرس أشهب أخذه المعتصم فقال فيه عدة قصائد . ومثل رثاء أبي نواس لأحد كلابه . ومثل رثاء أبي العلاف النهرواني لقطه الذي كان أليفا لديه فقتله الجيران؛ لالتهامه حمام الجيران ودجاجهم .

٣. شعر الغزل :

عرفنا أن الغزل في العصر الأموي كان بين مدرستين ، العفيف ، والصريح ، أما في العصر العباسي فخفت صوت الغزل العفيف ، إلا عند بعض الشعراء ، مثل : العباس بن الأحنف ، وعلي بن الجهم . ومن العجيب أننا نجد عند بشار الماجن أبيات من الغزل العفيف ، كقوله :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم	ونفى عني الكرى طيف ألم
نفسى يا عبد عني واعلمي	أننى . يا عبد . من لحم ودم
إن في بردي جسماً ناحلاً	لو توكأت عليه لانهدم
ختم الحب لها في عنقي	موضع الخاتم من أهل الذمم

٤. شعر الزهد والتصوف :

الزهد ليس بجديد ، فقد وجد منذ العصور السابقة ، وإنما الجديد هو ظهوره كفن أدبي مستقل ، له نزعة فلسفية واضحة ، ولعله جاء كرد فعل على المجون ، كقول أبي العتاهية :

لـدوا للموت وابنوا للخراب فـلكم يصير إلى ذهاب

٥. شعر الوصف :

ليس جديداً ، وإنما الجديد هو : الموصوفات ، مثل : القصور الفخمة ، والبساتين المزهرة ، والنوافير المتدفقة ، بل وصفوا مظاهر الحياة اليومية ، مثل : الخباز في قول ابن الرومي :

إن أنسى لا أنسَ خبائراً مررت به يدحو الرقاقة وشك الملح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه مرة وبين رؤيتها قوراء القمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة في لجة البحر ترمي فيه بالحجر

٦- الشعر التعليمي :

هو فن أدبي يصطنعه الشعراء عادة لنظم أنواع شتى من العلوم والمعارف تسهيلاً لحفظها ، ويتناول الأخلاق والعقيدة والتاريخ والسير ويعرض للعلوم والصناعات ... إلخ ، وتفتقر نشأته باتساع أنواع العلوم والمعارف وازدياد الإقبال على التعليم والتعلم في العصر العباسي، وما كان ممكناً أن ينشأ في الشعر العربي فن تعليمي قبل هذا العصر لهذا السبب نفسه . وقد أثرت الثقافات الأجنبية مثل اليونانية والهندية في نشأة هذا الفن .

لقد كثر شعراء الشعر التعليمي مع نشاط الحركة العلمية في الدولة العباسية، ومن أشهر شعرائه:

أ . صفوان الأنصاري؛ وله قصيدة تحدث فيها عن الأرض، وما تحمل من كنوز ومعادن كثيرة .

ب . أبان بن عبد الحميد اللاحقي؛ وهو الذي عمل على إشاعة هذا الفن الشعري الجديد، وهو أب الشعر التعليمي العربي، وقد نظم فيه تاريخاً وفقهاً وقصصاً كثيراً؛ ومن شعره التعليمي القصصي نظمه لكتاب كليلة ودمنة في أربعة عشر ألف بيت .

ج . حمدان بن أبان اللاحقي؛ وله مزدوجة طويلة جداً في الحب وأهله وطبيعته وصوره المختلفة .

د . أبو العتاهية؛ ونظم مزدوجة " ذات الأمثال " في أربعة آلاف بيت وهي في الحكم والأمثال .

هـ . محمد بن إبراهيم الفزاري؛ وله مزدوجة طويلة بناها على ثلاثة أفعال في علم النجوم .

وللشعر التعليمي قيمته الخاصة، فهو ليس فناً مؤثراً، وليس شعراً خالداً، وليس فيه من الشعر إلا الاسم فقط، وكان من الممكن أن يتطور هذا اللون من الشعر إلى ما يشبه الشعر الملحمي، ففيه نفس غير يسير منه ، ولكن مما يؤسف له أنه تطور في اتجاه آخر لا ينتمي في كثير أو قليل إلى الفن الأدبي .

٧- شعر المقطوعات:

ويقصد التجديد في عمودية القصيدة، فقد شرع أكثر من شاعر أن يركز على غرض القصيدة الرئيس؛ ولذلك تميز شعر الفترة بهذا اللون، ومن أبرز سماته وخصائصه:

١. تحليل الأخلاق المحمودة ، وتحليل الأخلاق المذمومة في مقطوعات مستقلة.
٢. الحنين إلى الوطن وإفراده بمقطوعات مستقلة.
٣. وصف الحقائق والزهور والسحاب والأمطار بمقطوعات مستقلة .
٤. وصف الطيور والحيوانات والحشرات ، ووصف الأمراض والآفات مثل الحمى وغيرها بمقطوعات مستقلة.
٥. بكاء الشباب وبكاء اختفاء نور البصر وهو تحليل للمشاعر تحليلًا دقيقًا.
٦. تصوير العواطف الدقيقة بين الأب وأبنائه وما فيه من البر والحنان والرحمة .
٧. تحليل المشاعر الإنسانية مثل شعور الزوج بالغيرة الشديدة على زوجته وما يجر ذلك عليهما من البلاء .
٨. تصوير حياة الفقراء مثل قصيدة أبي فرعون الساسي التي يصور فيها جوع عياله وكيف يبيتون في الشتاء عراة لا يحميهم شيء .
٩. نظم الطرديات وهي أراجيز في وصف الصيد وقد أكثر أبو نواس منها.
١٠. شيوع روح الهزل في المقطوعات الشعرية ، فيختارون بعض القصائد الحماسية فيقبلونها في الدعوة إلى الهزل واللهو ، أو يختارون موضوعا جادا مثل الحب العذري فيجرونه على لسان حمار أحب فمات عشقا مثل مقطوعة بشار على لسان حماره .

ثانياً: الأفكار والمعاني :

سبق أن ذكرنا أن علماء اللغة تمسكوا بالشعر القديم؛ لأنه هو القدوة المثلى؛ وأسقطوا تبعا لذلك كثيرا من الشعراء العباسيين ، ولكن بعض الشعراء خرجوا على هذا القديم في الأفكار والمعاني؛ مثل بشار بن برد ، وأبي نواس ، وأبي العتاهية ، وكثير من الشعراء الذين أصروا على القديم سقطوا وضاع شعرهم؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يحققوا التاريخ مرة أخرى ، والشاعر الذي لا يستطيع الاندماج في تجربة عصره يضيع شعره؛ لأنه خالف واقعه الحضاري .

لا يقاس الشعر بالقدامة والحداثة؛ فإنكار الشعر الحديث لأنه حديث هو خطأ فادح ، وتمجيد الشعر القديم لأنه قديم خطأ فادح أيضا . فلم يخرج الشعراء المحدثون في أفكارهم ومعانيهم الجديدة على اللغة العربية ولكنهم أتوا بأفكار ومعان جديدة تناسب واقعهم الحضاري الجديد .

فهذا بشار بن برد الذي اكتسب السليقة اللغوية من أفواه أصحابها في البداية ، كان يرى أنه يقع عليه مسؤولية افتتاح عهد جديد ، وقد سئل مرة : بم فقت أهل عمرك ، وسبقت أهل عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه ؟

فقال : لأنني لم أقبل كل ما تورده علي قريحتي ، ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري ولا والله ما ملك قيادي الإعجاب بشيء ...، ولهذا؛ قال عنه ابن قتيبة : إنه أول من ألطف المعاني ، ورقق في القول . وأيضاً، قيل عنه : إنه أستاذ المحدثين من بحرهم اغترفوا واثره اقتفوا .

ومن شدة ثقته بنفسه قال : إن لي اثنتي عشرة ألف قصيدة لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل قصيدة بيت عين .

لقد حاول بشار بن برد الإطراف والإتيان بالمعاني الجديدة المبتكرة والصور البديعة؛ مثل تصويره طول الليل بطرق مختلفة تدل على دقة العقل العباسي وقدرته على التحليل والتعليل ومن ذلك قوله :

خليلي ما بال الدجى لا يتزحزح	وما لعمود الصبح لا يتوضج
أضل الصباح المستنير طريقه	أم الدهر ليل كله ليس يبرح
لطال علي الليل حتى كأنه	بليلين موصول فما يتزحزح
كأن الدجى زادت وما زادت الدجى	ولكن أطال الليل هم مبرح
لقد هاج دمعي نازح بنزوحه	ونومي إذا ما نوم الناس أنزح

ومن ذلك قوله أيضاً:

كأن جفونه سملت بشوك	فليس لوسنة فيها قرار
أقول وليلتي تزداد طولاً	أما لليل بعدهم نهار
جفت عيني عن التغميض حتى	كأن جفونه عنها قصار

ومن ذلك قوله أيضاً :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيف ألم

وهذه القدرة على التحليل والتعليل الطريف تشيع في شعر بشار ، وتشيع أيضا قدرته على تقليب المعاني والتنويع والتفريع .

ومثل بشار كثير من الشعراء الذين جدوا في معانيهم وأفكارهم؛ مثل أبي نواس وأبي العتاهية وأبي تمام وغيرهم.

ثالثاً: الألفاظ والأساليب :

لقد وضع اللغويون للشعراء أقيسة اللغة في الاشتقاق والتصريف؛ بالإضافة إلى عمل اللغويين بعرض القصائد والرجز والنحو وموسيقى الشعر وعروضه ، ووضعوا في أيديهم جميع الآلات للتثقيف والتدريب على العربية، وإلى إتقان التعبير بها والتصرف فيها حسب حاجاتهم الوجدانية والعقلية والحضارية .

وقد أنتج عمل اللغويين هذا أسلوباً جديداً للشعراء العباسيين هو أسلوب المولدين؛ ذلك الأسلوب الذي قام على القديم ، وعلى الذوق الحضري الجديد، ويتميز هذا الأسلوب بما يلي:

١. حافظ على مادة اللغة ومقوماتها التصريفية والنحوية .
٢. لاعم بينها وبين حياة العباسيين المتحضرة لا ألفاظ عامية ولا ألفاظ بدوية خشنة .
٣. بعض الشعراء أصروا على نهج أساليب الرجاز المليئة بالألفاظ البدوية فكانوا شاذين عن العصر .
٤. أشاع الشعراء ذوقاً جديداً في المجتمع العباسي ، وقد أشاعوا في الأسلوب الجديد الألفاظ المنتخبة مع العذوبة والرشاقة والجزالة والفصاحة يهديهم في ذلك ذوقهم المتحضر الذي ينفر من كل لفظة غريبة أو وعرة.
٥. التحضر هو الذي دفع الشعراء إلى استحداث هذا الأسلوب الجديد ، أسلوب وسط بين الغرابة والابتذال .
٦. تحول الشعراء إلى ما يشبه الصاغة في اختيار هذه الكلمات يحسن وقعها في السمع وتفعل في القلوب فعل السحر .

٧. أصبح عندنا قسمان من الشعراء : من يؤثرون الفخامة والجزالة مثل مسلم بن الوليد ، وأبي تمام .

وقسم يؤثر الليونة مثل أبي العتاهية : الليونة في كل ألوان الشعر الرسمي والشخصي . فأبو نواس يؤثر الجزالة في الرسمي ، والليونة في الشخصي . أما من أصر على تقليد القدماء سقطوا وابتعدوا عن الجمهور .

لقد أشار الجاحظ إلى وجود لغة مولدة كانت أثرا من آثار اختلاط اللغة العربية بلغات أهل البلاد المفتوحة ، وبخاصة الفرس ، وهذه اللغة المولدة كانت لغة العامة الأكثر شيوعا . فقد تطورت اللغة العربية وتغيرت في طرائق تعبيرها ، وفي تركيب جملها وفي مادتها اللغوية نفسها ، وذلك بسبب الانتقال من حياة البداوة إلى حضارة المدن وتغلغل غير العرب في مناطق الأدب .

رابعاً: تطور الأوزان والقوافي :

أ. التجديد في الأوزان :

١ - شيوع الأوزان القصيرة مثل مجزوء الكامل ، مجزوء الرجز ، والبسيط المخلع ومجزوء الرمل ، ومجزوء المنسرح ، والهزج .

٢ - استحداث صور جديدة من الأوزان؛ مثل المجثث ، والمقتضب ، والمضارع ، والمتدارك أو الخبيب . والموالي ، وهو وزن شعبي ، وقد بدأ بالفصحى ثم تحول إلى وزن عامي ملحون ويتركب على الغالب من بيتين تختتم أشطرها الأربعة بروي واحد ، وهو على الأغلب من بحر البسيط ، ويدخل فيه ألفاظ عامية .

٣ - ظهرت محاولات لأبي العتاهية في الخروج على الأوزان التقليدية المعروفة.

٤ - جدد سلم الخاسر تجديدا جزئيا؛ فقد مدح الهادي بقصيدة كل سطر فيها على وزن (مستفعلن) واحدة. وعنه يقول السيوطي : وهو أول من عمله ولم نسمع لمن قبله شعرا على جزء جزء؛ وفيه يقول:

موسى المطر	باقي الأثر
غيث بكر	خير وشر
ثم انهمر	نفع وضر
ألوى المرر	خير البشر
كم اعتسر	فرع مضر
ثم ابتسر	بدر بدر
وكم قدر	والمفتخر
ثم غفر	لمن غير
عدل السير	

٥ - حاول رزين العروضي الخروج على الأوزان؛ ولكن كتب الأدب لم تحفل بشعره الذي خرج فيه على أوزان الخليل . ومحاولاته لم تجد صدًى عند الشعراء ، ولو وجدت صدًى عندهم لتغير الشعر العربي .

ب. التجديد في القوافي :

١ - نشأ لونان من الرجز في أوائل العصر العباسي هما :

أ - المزدوج : المصراعان على قافية واحدة مثل الشعر التعليمي ، وأصبح يستخدم في القصص والوصف والشعر التعليمي، وهذا رشح لظهور فن الرباعيات، وهي تتألف من أربعة أشطر تتفق أولها وثانيها ورابعها في قافية واحدة، أما الثالث فقد يتخذ نفس القافية، وقد لا يتخذها، مثل قول بشار بن برد:

ربابة ربابة البيات تصبب الخل في الزيت
لهـا عـشـر دجـاجـات وديك حـسـن الصـوت

وقد كثرت الرباعيات عند أبي العتاهية ، وأبي نواس ، وحماد عجرد ، وغيرهم .

ب - المسمطات : وهي قصائد تتألف من أدوار، وكل دور يتركب من أربعة أشطر أو أكثر، وتتفق شطور كل دور في قافية واحدة، ما عدا الأخير؛ فيستقل بقافية مغايرة وفي الوقت نفسه يتخذ فيها مع الشطور الأخيرة في الأدوار المختلفة، ومن أجل ذلك يسمى عمود السمط .

أو أن يبتدئ الشاعر ببيت مصرع، ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافيته، ثم يعيد قسيما واحدا من جنس ما ابتدأ به وهكذا إلى آخر القصيدة .

واشتهر أبو نواس ، وبشار بن برد بنظم المسمطات ، وتنسب لديك الجن الحمصي منظومة في المسمطات .

٢ - في ديوان أبي نواس مقطوعة كاملة توجد فيها قواف داخلية متحدة غير القافية الموحدة الموجودة في أواخر الأبيات ، واستخدم أبو العتاهية القوافي الداخلية أيضا مثل قوله :

وذو المنابر والعساكر والدساكر والحضائر والمـدائن والقـرى

٣ - أوجد بعض الشعراء جملا متناسقة في الأبيات من الناحية الموسيقية؛ مثل قول علي بن الجهم :

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله صحو وغـيم وإـبراق وإرعاد
كأنه أنت يا من لا شبيه له وصل وهجر وتقريب وإبعاد

٤ - تحلل أبو نواس في مقطوعة غزلية من القافية تماما .

٥ - من التجديد في القافية أيضا : التضمين ، وهو الخروج على القافية من ناحية عدم وقوف معنى البيت عندها واستقلاله عن بقية القصيدة وكانوا يعدون هذا عيبا .

من أعلام الشعراء:

أولا: أبو تمام:

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أشهر الشعراء الفحول في هذا العصر، إذ يمثل مدرسة فنية لها أسسها الخاصة في الإبداع، فقد استخدم أبو تمام ألوان التصنيع القديمة، فاستخدم في شعره ألوان المحسنات التي كان يستخدمها أستاذه مسلم بن الوليد وهي : الجناس ، والطباق ، والمشاكلة ، والتصوير، ولكنه أضاف إليها شيئا جديدا وهو : الثقافة والفلسفة، وقد أكثر أبو تمام من ألوان هذه المحسنات؛ حتى فاق أستاذه مسلم بن الوليد ، فقال عنه الباقلاني " وربما أسرف أبو تمام في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة؛ حتى استثقل نظمه واستوخم رصفه "، وكانت عنده

طريقتان للتصنيع : أن تأتي متعاقبة ، ومختلطة وتبقى كما هي . أو : تمتزج الألوان فتتغير هيئاتها ، وتعطينا أشياء جديدة. ويتميز شعر أبي تمام بما يلي:

١- كان يمزج التصوير بالجناس ، ثم بالطباق والمشاكلة ، مثل قوله :

كل يوم له وكل أوان خلق ضاحك ومال كئيب

فوجد طباقا ، لكنه طباق مصور . ومثل قوله :

لم يطل ليالي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم
ألبست فوق بياض مجدك نعمة بيضاء تسرع في سواد الحاسد

فقد عبر عن غيظ الحاسد بالسواد، ووصف نعمة صاحبه بالبياض، وجعل هذا البياض يسرع في السواد وينتشر فيه . ومثل قوله :

أظن الدمع في خدي سيبقى رسوما من بكائي في الرسوم

فقد استعان بالمشاكلة على التصوير القريب إذ جعل آثار الدمع في خده تشبه آثار ديار المحبوبة .

٢ - المزج بين ألوان التصنيع القديمة والجديدة : وقد اعتمد في ذلك على الغموض الذي يغطيه لون من الفلسفة والثقافة الفكرية، وكأنه حطم الحواجز التي تفصل بين الشعر العربي والثقافة والفلسفة .

٣ - جعل التفكير الفني والتفكير الفلسفي والثقافي يتصلان ، وهذا يحدث لأول مرة في شعرنا العربي .

٤ - جعل الأفكار الدقيقة تدور في وعاء التصوير فينتج لنا لون من الرمز البديع .

٥ - جعل الطباق يدور في وعاء الفلسفة ، فينتج لون من الطباق الفلسفي الطريف .

٦ - تعددت ألوان التصنيع عند أبي تمام؛ ومنها:

أ - الرمز : جاء الرمز في شعر أبي تمام نتيجة التفكير الفلسفي العميق، وكان يستعين في ذلك بلونين من ألوان التصوير هما : التجسيم والتدبيج ، فهو يجسم معانيه في صور حسية، يدبجها بعد ذلك

بألوان مادية مثل قوله يخاطب أحد ممدوحيه، وكأنه يريد أن يقول له : إنك صفيت لي العطاء وكنت أراه من غيرك كدرا وعسرا؛ فأنشده :

أبديت لي عن جلدة الماء الذي قد كنت أعهدده كثير الطحلب

فرمز لهذه الفكرة بأن جعل للماء جلدة كما قالوا : جلدة السماء وأديم الأرض ، ثم يستمر فيعبر عن الكدر والعسر بركوب الطحلب للماء . ومثل ذلك نجده يستخدم التدبيج في رمزه أيضا مثل قوله في الطوسي :

تردى ثياب الموت حمرا فما دجى لها الليل إلا وهي من سندس خضر

فقد عبر عن قتله بلباسه الثياب الحمراء التي غرقت في لون الدم ، حتى إذا جاء الليل وأظلم قبره بدله الله بها ثيابا سندسية خضراء .

ب - نوافر الأضداد : وهو استخدامه للطباق استخداما عقليا ملونا بألوان فلسفية قائمة، فإذا هو من طراز فلسفي جديد ، فيه تناقض ، وفيه تضاد ، وفيه صور غريبة، وقد استخدمه أبو تمام قاصدا متعمدا، وهو الذي أطلق عليه هذا المصطلح (نوافر الأضداد)، مثل قوله :

مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من النضارة يطر
رب خفض تحت السرى وغناء من عناء ونضرة من شحوب

لقد كان أبو يملك ناصية الفن والفلسفة جميعا ، إنه يستخدم الفلسفة في شعره استخداما فنيا ، فيمزج بينها وبين ألوان التصنيع القديمة ، فتخرج له ألوان تصنيع جديدة .

ج - الأقيسة المنطقية الفنية : يستخدم الأقيسة المنطقية فيحولها إلى أقيسة فنية يمتزج بها القياس المنطقي بالموسيقى والشعر والتصوير

د - الغموض الفني في شعره : كل ذلك ولد غموضا فنيا في شعره لم يلتفت إليه القدماء؛ لأنهم وجدوا فيه غموضا وصعوبة والتواء ولم يكتشفوا ما فيه من جمال . ومن ذلك أن ابن الأعرابي قال عندما سمع شعره : إن كان هذا شعرا فكلام العرب باطل.

فالشعر عند أبي تمام أصبح عملا عقليا راقيا؛ فيجب على السامع أن يصعد إلى هذا الشعر ليفهمه ، وهذا شيء جديد في شعرنا العربي . ومن ثم نقول: إن أبا تمام صاحب مذهب جديد في الشعر العربي . وقد ولد الغموض في شعره : دقة التفكير ، ووفرة الاحتمالات .

ومن أروع ما نظم أبو تمام رائعته في مدح المعتصم وفتح عمورية؛ وفيها يقول:

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في	متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعة	بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية بين أين النجوم وما	صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة	ليست بنبع إذا عدت ولا غرب
عجائباً زعموا الأيام مجفلة	عنهن في صفر الأصفار أو رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة	إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيروا الأبرج العليا مرتبة	ما كان منقلبا أو غير منقلب
يقضون بالأمر عنها وهي غافلة	ما دار في فلك منها وفي قطب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه	لم تخف ما حل بالأوثان والصلب

وتعد هذه الأبيات مطلع القصيدة ومقدمتها ، ولم تبدأ هذه القصيدة بالغزل . وقد قال ابن الأثير : إذا كانت القصيدة في حادثة من الحوادث كفتح أو هزيمة أو غير ذلك فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيها بغزل .

وقد استهل أبو تمام قصيدته ببيت يتناسب مع هذا الموقف المدحي الجديد، وهو يتناسب مع جلال الموقف وما اطمأن إليه أبو تمام عن حقائق بعيدا عن الوهم أو التنجيم .

والملاحظ أن أبا تمام قد " صرع " في البيت الأول ليجذب الانتباه وليعطي القارئ كثافة موسيقية مؤثرة.

وقد استعان الشاعر في هذه الأبيات بما أكده الواقع من تكذيب المنجمين الذين أشاروا على المعتصم بأن يرجئ زحفه حتى نضج العنب والتين، فلم يستجب لنصائحهم، وكان خروجه إلى عمورية فتحا إسلاميا مبينا، حاصر خلاله المدينة، وقضى على أهلها ، فثأر بذلك للكرامة العربية الإسلامية .

وقد سخر من المنجمين الذين ادعوا علم الغيب، فاتهمهم بالكذب وتلفيق الحديث وزخرفة القول . وقد اتخذ أسلوب السخرية عنده عدة أشكال، مثل أدوات الاستفهام وحكاية الأقوال والسخرية الصريحة والحجاج العقلي كما استعمل الطباق والجناس والترادف .

تدور هذه المقدمة حول قضية رئيسة تقول : إن الذي يفصل في الأحداث الكبرى هو الفعل لا الكلام، وهو الحرب ، وليس كلام المنجمين.

والحقيقة أن علم التنجيم كان محور فكر الناس في جانب الروم وفي جانب العرب ، وكان هجوم المعتصم على عمورية تحدياً لآراء علماء التنجيم والفلك ، وعلى ما يبدو فإن أبا تمام كان على دراية بعلم الفلك، وحديثه عن المذنب في البيت السابع يلتقي بالآراء التي ذكرت أن ظهوره كان بالأفق الغربي عام ٢٢٣هـ كان اتجاهه إلى المشرق ، وكان بالغ الطول . ثم يقول أبو تمام في يوم واقعة عمورية:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت	منك المنى حَفْلاً معسولة الحلب
ابقيت جد بني الإسلام في سعد	والمشركين ودار الشرك في صبيب
وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها	كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب
من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد	شابت نواصي الليل وهي لم تشب
حتى إذا مخض الله السنين لها	مخض البخيلة كانت زبدة الحقب
أتتهم الكربة السوداء سادرة	منها وكان اسمها فراجة الكرب
لقد تركت أمير المؤمنين بها	لنار يوماً ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى	يشالها وسطها صبح من اللهب
ضوء من النار والظلماء عاكفة	وظلمة من دخان في ضحى شحب
فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت	والشمس واجبة من ذا ولم تجب
لم تطلع الشمس منهم يوم ذاك على	بان بأهل ولم تغرب على عزب
تدبير معتصم بالله منتقم	لله مرتقب في الله مرتغب

- أراد الشاعر في هذا القسم مناجاة يوم النصر في عمورية ، تلك المدينة التي لم ينتصر عليها فاتح منذ الإسكندر ، وذلك بأبيات بارعة عظيمة المعنى زاهية الصورة ، وقد وصف الشاعر النيران التي احترقت بها عمورية في براعة الفنان وحذق الرسام وبلاغة الشاعر وحس الأديب ، كما يقول الدكتور

مصطفى الشكعة ، وقد أراد الشاعر في هذه الأبيات أن يضيف لونا من البهجة على موضوع القصيدة ، وهو يتغنى بهذه الأبيات تغنيا انفعاليا بذلك الفتح الذي بالغ في تصويره ، وجاء نتيجة إيجابية لفلسفة القوة .

- وهو يعتمد في هذه الأبيات على التشخيص ، وهو عامل يساعد على إبراز طبيعة انفعال الشاعر بالموقف، وقد اعتمد في صوره على مصادر مختلفة من الطبيعة والدين والتقاليد والتاريخ ، وجعل منها عناصر أساسية لقصيدة المديح.

- استخدم أبو تمام في هذا القسم من القصيدة الألوان ، وعلى الخصوص الأسود والأبيض ومشتقاتهما، مثل الشمس والضحي والذهب والضوء والصبح والبشاشة والظلمة والظلماء والدجى والدخان والتراب ، وهو يحس قدراته في وصف الدمار والتخريب فيتكى عليها، وكأن القارئ يحس بسعاده وهو يشهد صور الخراب والدم والنار.

وعلى ما يبدو ، فإن الصلة بالحرب كانت موجودة في نفسه حتى قال عنه ابن الأثير : إن في شعره طنين السلاح . والحقيقة فإن أبا تمام نقل جو الحرب إلى القصيدة نفسها . وكانت هذه القصيدة فتحا جديدا في آفاق الشعر العربي ، وهي قصيدة فريدة وضع فيها الشاعر جل المعاني الحربية.

ركزت القصيدة أساسا على شعر الحرب بحيث أن كل من طرق شعر باب الحرب بعده كانوا عالة عليه وعلى معانيه .

لقد كان أبو تمام بارعا في استخدام الألفاظ ودلالاتها، مما جعل المتلقي يتعايش مع الجو العام في القصيدة؛ ومن ذلك على سبيل المثال:

- لفظة : السيف : هذه اللفظة لها دورها في حسم القضية الحسم النهائي القاطع ، فالشاعر يقيم ممايزة بين السيف من جهة ، والكتب من جهة أخرى ، وهذه الممايزة تعمل عملها الأقوى في قضية الأنباء.

- لفظة : الأنباء : بصيغة الجمع بالغة الدلالة في مطلع القصيدة على حجم التهويل والأكاذيب والحرب النفسية التي كان قد روج لها الروم وأعوانهم في المعسكر الإسلامي حتى لقد بلغ من كثرة ما أريد

لهذه الأنباء الكاذبات أن تجد طريقها إلى المعسكر الإسلامي بدأت تحدث نوعا من البلبلة في صفوف المسلمين وعلى الخصوص وجود بعض الترك والعجم معهم .

- شهب الأرماع : بدلا من أسنة الأرماع وهي تؤدي دلالة البياض التي أرادها الشاعر في السيوف ولا بد أن يرسم صورة مركبة فيها الضوء والحركة ومن خلفها حديث الناس .

- البيت الخامس : التفصيلات في هذا البيت في المترادفات والمتقابلات يعمق الإحساس بالصورة وبخاصة تشبيه الروايات بالعصي ما كان منها قويا وما كان منها غير ذلك .

- لفظة : الناس في البيت السابع : تدل على أن أمر أكاذيب الروم بدأت تفعل فعلها في التسلل إلى عقول الناس في المعسكر الإسلامي وهذا يعني ضمنا أن بعض أفراد الجيش المسلم في خلافة المعتصم كان قد داخله بعض الوهم بصحة هذه الأباطيل وزخرفها.

- لقد نجح الشاعر في البيت العاشر حين قرن الأوثان والصلب على صعيد واحد هو صعيد الترادف .

- في البيت الحادي عشر صورة غريبة وهي وجود ضرع يدر عسلا بدل الحليب ولكنها صورة معبرة عن الحضارة الرخية في القرن الثالث الهجري .

- في البيت الثاني عشر موازنة عقلية بين صعود الإسلام من جهة ، وهبوط الشرك والمشركين من جهة أخرى.

- في البيت الرابع عشر لأن التحصينات كانت قوية في عمورية فكأن شعر نواصي الليل قد أدركه الشيب ولحق الليالي الهرم وهي لم ينتقص من شبابها شيء .

- في البيت الخامس عشر استعارة لم تستخدم قبل أبي تمام كما قال التبريزي والاستعارة هنا أن السنين بمنزلة اللبن والبلدة بمنزلة زبدة اللبن المتكثف من عملية المخض والمخض عملية قلقلة وإذن فكلما كانت هذه البلدة ترمى بالغزاة المهاجمين وتتعرض للكوارث كان ذلك يكسبها حصانة ومنعة وكانت تزداد في الخير كما هي الزبدة والبخيلة أقدر على استخراج الخير كله وهو الزبدة .

- في البيت السابع عشر : إذلال الصخر والخشب إشارة إلى الأوثان والصلب.

- البيت التاسع عشر : ضوء النار يصير الليل نهارا وظلمة الدخان تصير الضحى شحبا .

لقد أبدع أبو تمام في قصيدته لفظاً ودلالة وصورا ... وهذا يؤكد استحقاق أبي تمام لزعامة الشعر في عصره.

ثانياً: أبو العتاهية :

إسماعيل بن القاسم (١٣٠ - ٢١١ هـ) ، وهو من شعراء الزهد البارزين ، فقد كان مدار شعر أبي العتاهية الزهدي هو الإنسان من حيث سعيه الملح في الحياة الدنيا ، يستكثر من الولد ن ويجمع المال ن ويشيد الدور والمصانع ، ويقبل على الشهوات وملذات الحياة ، ويقع في الخطايا ، ثم ماذا ؟ إنه يموت ويصبح كأنه ما كان ، ويتساوى في التراب مع العبيد وعامة الناس .

ولهذا وهنا يأتي الجانب التعليمي في شعر أبي العتاهية ، ينصح الشاعر إخوانه في الإنسانية أن يتعظوا وأن يرقوا بعقولهم إلى مستوى الأحداث ، فالحياة ليست حلوا خالصا ولكنها ممزوجة بعلقم، وهي شيء موقوت له نهاية بشعة ، ولهذا كله ينبغي نبذ الحرص على زخرفها وزينتها، ولا بد من الرفق وحسن الخلق ولين الطبع والتسامح في معاملة الناس، فالقتاعة كنز لا يفنى وخلص النفس من شرها يكون في رضاها بواقع حالها . وفي ذلك يقول:

ترق من الدنيا إلى أي غاية سموت إليها فالمنايا وراءها

ويقول:

فيا عجباً تموت وأنت تبني لها الليل إلا وهي من سندس خضر

وتتخذ المصانع والقبابا وفيها قول :

ما يكون العيش حلوا كله إنما العيش سهول وحزون

ويقول :

لا تعشق الدنيا أخي فإنما يرى عاشق الدنيا بجهد بلاء
حلاوتها ممزوجة بمرارة وراحتها ممزوجة بعناء

ثالثاً: بشار بن برد:

يُعد بشار بن برد (ت/ ١٦٨هـ) زعيم المحدثين في الصنعة الشعرية؛ فالمصادر القديمة تكاد تجمع على أن بشاراً هو رأس جماعة البديع، مثل الجاحظ الذي يرى أنه لم يكن في المولدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة والعتابي . ويقول صاحب زهر الآداب عنه : وكان بشار أرق المحدثين ديباجة كلام، وسمي أبا المحدثين لأنه فتق لهم أكمام المعاني ونهج لهم سبيل البديع فاتبعوه . وقدم الأصمعي بشاراً على مروان بن أبي حفصة؛ لأن مروان سلك طريقاً كثر سلاكه، وبشار سلك طريقاً لم يسلكه قبله، وأحسن فيه، وتفرد به، وهو أكثر تصرفاً وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعاً، أما مروان فلم يتجاوز مذاهب الأوائل .

و في شعر بشار نزعة واضحة قوية نحو الصنعة الشعرية بنوعيتها اللفظي والمعنوي، وكلاهما ظاهر واضح في شعره . فالصنعة اللفظية واضحة في شعره، وشعره يتضمن ألواناً من الجنس والطباق .

أما الصورة الشعرية عند بشار فقد بلغت حداً كبيراً من الروعة لاحتوائها على تفاصيل دقيقة واستقصاء صاحبها لعناصر التجسيم والتصوير . ولعل بشاراً بهذا الاستقصاء في التصوير قد فتح المجال لابن الرومي الذي يعد الشاعر الأول في ناحية التصوير الشعري . وفن بشار في التصوير الشعري يتجلى في ناحية التشخيص أو إلباس المعاني صوراً آدمية تكاد تتكلم وتروح وتجيء .

ومعظم صور بشار تتميز بالجدة والطرافة، بحيث لا نجد ما يماثلها في شعر الأقدمين، كما تدل على قصد صاحبها للصنعة فيها وتعمره لها .

وقد تميز بشار في صنعته بهذه الناحية التجسيمية بالإضافة إلى استقصاء لعناصر الصورة . كما يتميز بشار في صنعته أيضاً بحسه الدقيق في إدراك العلاقات بين الأشياء المحسوسة وغير المحسوسة، وإحاحه على ظهورها تعويضاً على ما يبدو عن حرمانه من رؤيتها، فأراد أن يبلغ بفنه الشعري ما لم يبلغه بناظره ، وقد مرت بنا صوره المتعددة التي قالها في طول الليل .

اتصل بالعباسيين ، واتصل بالبرامكة كذلك ، وصار شاعر البلاط في عهد المهدي ، ولكن لسانه السليط ، واستخفافه بالناس غير عليه القلوب ، فعاد للبصرة وظل ناقماً على الخليفة والوزير ، وهجا " المهدي " ، ومنها الأبيات :

بنبي أمية هبوا طال نومكم
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
إن الخليفة يعقوب بن داود
خليفة الله بين الناي والغود

فلما بلغت الأبيات الخليفة والوزير؛ دبرا لقتله؛ حيث ضرب فمات، وقيل أن سبب قتله اتهامه بالزندقة
ومن الفنون التي تميز أيضا فيها الغزل؛ لما فيه من الرقة والعذوبة، كقوله:

يا ليلى التي تزداد نكرا
حوراء إن نظرت إليك
وكان أن رجوع حديثها
وكان أن تحنت لسانها
وتخال ما جمعت عليه
جنية إنسية
من حب من أحببت بكرا
سقتك بالعينين خمرا
قطع الرياض كسين زهرا
هارون ينفث فيه سحرا
ثيابها ذهباً وعطرا
أو بين ذاك أجمل أمرا

رابعاً: مروان بن أبي حفصة :

مروان بن أب حفصة (ت/ ١٨٢هـ) من أعلام شعراء العصر ، ومعظم شعره ، إن لم يكن جميعه، في
المديح، ولم يعرف عنه أنه تأثر بالحضارة العباسية، وما ترجم من ثقافات أجنبية، على أنه كان يحكم
صنعتة إحكاما بعيدا ، ويروى عنه أنه كان يحوك القصيدة في عام ، أما في الأشهر الأربعة الأولى
فكان ينظمها ، وكان في الأربعة الأشهر الثانية يصقلها وينقحها ، أما في الأربعة الأشهر الأخيرة فكان
يعرضها على الرواة والنقاد ، حتى إذا وثق من جودتها أنشدها ممدوحيه .

خامساً: أبو نواس:

أبو نواس الحسن بن هانئ (ت/ ١٩٨هـ) واحد من زعماء التجديد في الشعر العباسي، ولشدة إلماحه
على الخروج على المقدمة الطللية ، فقد ارتبط الخروج عليها باسمه . وقد عارض بعض النقاد هذا
الاتجاه الشعري الجديد ورفضوه ، وعدوا هذا التجديد لونا من الشعبوية ، لأن هذا التجديد ارتبط بأبي
نواس .

وعلى ما يبدو فإن هذا التجديد الذي نادى به أبو نواس كان تعبيراً عن الحياة الحضرية الجديدة، وأخذ يقول شعراً يعبر عن عصره . وساعده على ذلك الملكات الشعرية البديعة التي كان يتحلى بها، وهي ملكات صقلتها بالدرس الطويل للشعر القديم واللغة العربية الأصيلة .

والحقيقة فإنه من خلال ثقافته اللغوية والشعرية أخذت شخصيته تنمو في اتجاهين: أولهما اتجاه يحافظ فيه على التقاليد الموضوعية دون أن يشتط في التجديد، وآخرهما اتجاه يجدد فيه تجديداً واسعاً يجدد في معانيه وألفاظه .

سادساً: مسلم بن الوليد:

مسلم بن الوليد (ت/ ٢٠٨هـ) زعيم اتجاه المجددين؛ ولعل القرن الثاني الهجري لم يعرف شاعراً جهد نفسه في صنع الشعر جهد مسلم بن الوليد ، فقد أقبل يتمثل نماذج الشعر القديم جاهليه وإسلاميه بكل معانيه وصوره وأساليبه ، وأضاف إلى هذا التمثل تمثلاً لا يقل عنه عمقاً ولا دقة لنماذج الشعر العباسي عند بشار ومعاصريه .

وبذلك التأم القديم والجديد في نفسه ، وعاش ينفق حياته الفنية في المزج بينهما مفكراً في كل التراث الشعري الذي سبقه وناقداً ومحللاً مستنبطاً .

وهذه منذ أول الأمر إلى أن يستكشف في وضوح أدوات البديع والتصنيع من جناس وطباق ومشاكلة وتصوير، وأن يجعلها أساساً في صنع شعره ، واعترف له القدماء بذلك حتى قالوا إنه " أول من قال اشعر المعروف بالبديع ، وهو الذي أعطاه لقبه "

سابعاً: أبو العتاهية:

إسماعيل بن القاسم بن كيسان ولقبه أبو العتاهية (ت/ ٢١١هـ)، وهومن الشعراء البارزين، ولشعره خصائص جمة تميزه ومن أهم خصائص اتجاهه الشعري : الشعبية في لفظ الشعر التي تقربه إلى أفهام الناس جميعاً ، وتحببه إليهم ، وتنزل إلى الواقع والحياة .فقد قرب المعنى ولطفه وبراعته من التعمق والتكلف والغموض ، والمعنى عنده قريب المأخذ سريع المثل له، سريع المثل في قلوب الناس وهو لا يركب إلى صياغة الشعر طريقاً وعراً إذ؛ إنه كان أقدر الناس على بديهة وارتجال .

- قيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قط إلا مثل لي فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد .

- سئل مرة : هل تعرف العروض ؟ فقال : أنا أكبر من العروض ز- كان يباشر المعنى مباشرة ويقصد إليه قصدا لا يختار لذلك واسطة من صورة وغيرها مما أولع به شعراء العصر الذي عاش فيه .

ولأبي العتاهية أسلوبه المتميز في نظمه للشعر ، وخاصة شعر الزهد الذي يعبر فيه عن نفسه وعلاقته بالله في صدق بالغ، ومن ذلك قوله:

وقصر آمال الأنام وطولا
وما زال حكم الله في الأرض مرسلا
وفصله من حيث شاء ووصلا
نرى حكما فينا من الله أعذلا
ليرغب مما في يديه ويسألا
علينا وإلا أن نتوب فيقبلا
وما زال في ديمومة الملك أولا
ولم يترك الإنسان في الأرض هملا
نصرَفَ تصريفا لطيفا ونبتلى
يخاض كما خضنا الحديث بمن خلا
بأجمعهم كانوا خيالا تخيلا
ولكن لي فيها كتابا مؤجلا
تأجل حيي منهم أو تعجلا
بما كان أوصى المرسلين وأرسلا
فمن بين مبعوث مخفا ومثقلا
ومن بين من يأتي أغر محجلا
فأف علينا ما أغر وأجهلا
يعافون منهن الحلال المحملا
ولسنا نرى الدنيا على ذاك منزلا
وما أعرض الآمال فيها وأطولا
وتأبى به الحالات إلا تنقلا

ألا طال ما خان الزمان وبدلا
أرى الناس في الدنيا معافى ومبتلى
مضى في جميع الناس سابق علمه
ولسنا على حاو القضاء ومهره
بلا خلقه بالخير والشر فتنة
ولم يبيغ إلا أن نبوء بفضله
هو الأحد القيوم من بعد خلقه
وما خلق الإنسان إلا لغاية
كفى عبرة أني وأنت يا أخي
كأننا وقد صرنا حديثا لغيرنا
توهمت قوما قد خلوا فكأنهم
ولست بأبقى منهم في ديارهم
وما الناس إلا ميت وابن ميت
فلا تحسبن الله يخلف وعده
هو الموت يا بن الموت والبعث بعده
ومن بين مسحوب على حر وجهه
عشقنا من اللذات كل محرم
لقد كان أقوام من الناس قبلنا
ركنا إلى الدنيا فطال ركوننا
فلله دار ما أحدث رحيلها
أبى المرء إلا أن يطول اغتراره

إذا أمل الإنسان أمرا فبالله سما يبتغي فوق الذي كان أملا
وكم من ذليل عز من بعد ذلة وكم من رفيع كان قد صار أسفلا
ولم أر إلا مسلما في وفاته وإن أكثر الباكي عليه وأعولا
وكم من عظيم الشأن في قعر حفرة تلحف فيها بالثرى وتسربلا
أي طالب الدنيا وثقت بمنزل ترى الموت فيه بالعباد موكلا

في هذه القصيدة نلمح الإحساس الصادق في داخل أبي العتاهية؛ ويبدو ذلك جليا من مطلع القصيدة، حيث نلاحظ أن أبا العتاهية قد استجاب في قصائده الزهدية لدعوة المجددين من الشعراء الذين دعوا إلى إسقاط المقدمة الطللية وتغيير النهج التقليدي للقصيدة العربية ، وترك المجال للشاعر للتعبير عن نفسه والدخول مباشرة للموضوع الذي يريد أن ينظم فيه .

وابتعد النص الذي بين أيدينا عن ذكر الأطلال، وهو يحمل أفكارا جزئية أحسها الشاعر وهو ينقلها إلى الناس للعظة والعبرة ، كما نلاحظ أن الفكرة الرئيسية في القصيدة تدور حول الزهد؛ وكذلك ما يتبعها من أفكار فرعية:

١ - القضاء والقدر : الأبيات (١٠ . ١)

٢ - الموت والحياة : الأبيات (١٦ . ١١)

٣ - الدنيا دار الغرور: الأبيات (٢٢ . ١٧)

٤ - الحكم: الأبيات (٢٦ . ٢٣)

إن الشاعر يخاطب في هذه القصيدة الطبقة الشعبية من الناس ومن هنا فقد اختار اللغة القريبة من أفهامهم وذلك حتى يؤثر في نفوس الناس وقلوبهم ، فالسهولة المفرطة من أهم ما يميز قصائد أبي العتاهية الزهدية، وقد استخدم وسائل كثيرة للوصول إلى قلوب الناس مثل النداء والاستفهام والنهي .

ونلاحظ في القصيدة سهولة التركيب اللغوي البعيدة عن التعقيد والتقديم والتأخير والجمل الاعتراضية ، ومن هنا كان وصف الأقدمين بأن نظم أبي العتاهية كان أسهل عليه من شرب الماء .

وألفاظ هذه القصيدة كانت في إطار المعجم الشعري الخاص بالزهد ، وكان للاشتقاق اللفظي نصيب في هذه القصيدة مثل قوله : خيالا تخيلا ، نصرف تصريفا

وفيما يخص القيم الجمالية في القصيدة؛ فقد أجمع النقاد القدماء على تفضيل أبي العتاهية في شعره الزهدي على غيره من الشعراء؛ لأنه لا يتكلف في شعره ولا يستخدم الزخارف اللفظية .

ولم يحفل أبو العتاهية كثيرا بالقيم الجمالية في تعبيره عن معانيه وقلما اعتمد في أداء معانيه على وسيلة من وسائل التصوير الباني وكأنه كان يرى أن يتناول المعنى تناولا مباشرا يقربه إلى أفهام العامة إذ كان شعره موجها إليهم .

وكان يتحرى . إذا استخدم الصورة . أن تكون واضحة قريبة المأخذ مألوفة العناصر خالية من التداخل أو التركيب . فالصورة الشعرية عنده تتسم بالسهولة لتلائم لغة هذا الشعر . والذي يعني أبا العتاهية أن يكون المعنى واضحا سريع الوصول إلى قلوب الناس . فالقصيدة واضحة الصورة الفنية وأما التشبيهات والاستعارات فهي قليلة لا تدل على العمق وإعمال الفكر .

لقد كان أبو العتاهية مغرما بأن يكسب شعره في الزهد ذيوعا وانتشارا بين جماهير عصره لا يبالي بعد ذلك أن تتحقق القيم الجمالية لشعره أو لا تتحقق فقد بلغ من ذلك ما أراد فكان احتفال الناس بلقاء شعره في الزهد يفوق كثيرا احتفالهم بشعر غيره ممن أولعوا بطلب الصورة والتأنق في الصياغة .

كما يبدو الأثر الواضح للقرآن الكريم والحديث الشريف في قصيدة أبي العتاهية؛ فقد ذكر ابن عبد ربه في مقدمة ديوان أبي العتاهية أن أشعار أبي العتاهية في الزهد والمواعظ والحكم لا مثيل لها كأنها مأخوذة من الكتاب والسنة ، وما جرى من الحكم على السنة سلف هذه الأمة وشعره في ذكر التوحيد وذكر البعث والإقرار

بالجنة والنار والوعد والوعيد . ولا شك أن تأثير القرآن الكريم والحديث الشريف واضح تماما في هذه القصيدة ، ونلمح ذلك في ألفاظها ومعانيها وتراكيبها وفي صورها الفنية أيضاً .

ازدهار النثر

لقد شهد النثر بكل صوره تطورا واضحا في العصر العباسي الأول، حيث أصبح أهم أدوات العرب للتعبير والتأليف والترجمة، وقد كان ذلك التطور طبيعيا؛ لكي يستوعب النثر كل الثقافات الواردة جمعا وتأليفا وترجمة، فبرز فيه كتاب وعلماء بارزون، كان لهم أكبر الأثر في الأدب العربي منذ العصر العباسي وحتى الآن، ومن ثم لابد من التعرف على حالة فنون النثر في هذه الفترة الزاهرة من تاريخ الأدب العربي القديم.

فإذا تتبعنا ما ظهر في الأدب العربي من مؤلفات ودراسات وأبحاث، فإننا نجد أن الشعر قد استأثر بالمقام الأول من اهتمام الدارسين، واحتل مكان الصدارة في المؤلفات القديمة والدراسات الحديثة.

أما النثر - وهو قسيم الشعر في ميدان الأدب - فإنه لم يحظ بمثل ما حظي به قسيمه من عناية واهتمام، على الرغم من أنه أقرب من الشعر في التعبير عن الجماهير؛ لأنه أكثر ميلاً إلى السهولة في الأداء والتعبير؛ ولأنه يمثل لغة الجماهير فهو أكثر سهولة في التلقي والفهم.

والنثر : هو أحد قسمي الأدب الرئيسيين " الشعر والنثر " ... يتميز عن الشعر بخلوصه من كل قيد إلا قيد سلامة اللغة ، واستقامة المعنى ، وجودة التعبير ، أما الوزن والقافية فلا يختصان بالنثر، لغلبة العقل والمنطق عليه ولأن المقصود منه في الأساس حسن إيصال المعنى إلى فهم السامع أو القارئ ، وقد استعاض عنهما بالسجع .وهو أنواع ثلاثة : النثر الأدبي " الخطبة ، والأقصوصة ، والرواية ، والمسرحية ... الخ " ، والنثر العلمي ، والنثر الفلسفي.

لقد تميز العصر العباسي بمظاهر جديدة لم تكن معهودة من قبل في العصر الأموي، تلك هي ظهور ثقافات جديدة وافدة، انصبت على العرب من الأمم العريقة المجاورة .

والذي لا ريب فيه أن هذه الثقافات الوافدة - فارسية وهندية ويونانية- قد أغنت طاقة اللغة العربية بفيض من المعاني العقلية والفلسفية. وبذلك أصبح النثر العربي نثر ثقافة متشعبة تمدّها روافد كبيرة من الفرس والهند واليونان. وهكذا أصبح النثر العربي في العصر العباسي متعدد الفروع، فهناك:

١ - النثر العلمي: الذي ساد في كتب الفقه والطب والفلك والتاريخ وتقويم البلدان.

٢ - النثر الفلسفي: الذي غلب على كتب الفلسفة والمنطق وعلم الكلام.

٣- النثر الفني الخالص أو النثر الأدبي: الذي تجلى في كتب الأدب والنقد والرسائل والمقامات،....

كما أصبح النثر العربي في العصر العباسي في صورته الفنية متعدد الأنماط. وكانت بعض صورته امتداداً للقديم من مثل ما كان من خطب الخلفاء الأول من بني العباس وتوقيعاتهم، ومن ذلك أيضاً نثر ابن المقفع في طابعه العام.

وقد استحدثت العربية - حينئذ - أسلوباً متميزاً حيث استبعت الألفاظ البدوية الغريبة من العصر والحضارة مع العناية في ذات الوقت بفصاحة اللفظ وجزالته واتخذت اللغة لنفسها أصولاً بيانية خاصة كما أفادت من بلاغة الأمم الأخرى.

وقد تفاعل النثر مع ثقافات العصر محتفظاً بمقوماته العربية الأصيلة ، فلم يحدث الازدواج اللغوي الذي يعرض اللغة للضياع ، بل جدت فنون حديثة عن طريق المترجمين والمتكلمين والكتاب المجددين.

ومن الصواب القول إن العصر العباسي الأول كان بحق عصر النقل والترجمة ، فقد خُطت الترجمة خطوات واسعة - في العصر العباسي الثاني على يد حنين بن اسحق وتلامذته.

وقد ظهرت في العصر العباسي عدة مؤلفات في النثر؛ بها يتأكد مدى الازدهار الذي لحق النثر في هذه الفترة الذهبية، منها:

١ - الكامل للمبرد.

٢ - أدب الكاتب لابن قتيبة.

٣ - كتاب نقد النثر لقدامة بن جعفر.

٤ - رسالة في موازين البلاغة وتسمى بالعدراء لإبراهيم بن المدبر.

لقد تهيأت للنثر الفني في العصر العباسي أسباب كثيرة جعلته ينمو ويزدهر، فقد أخذ يمتد ليستوعب العلوم والفلسفة، كما يستوعب مادة عقلية عميقة حتى في المجال الأدبي .

ويمكن إجمال العوامل التي أثرت في تطور النثر في العصر العباسي فيما يلي:

١- ازدهار حركة الترجمة والتأثر بالآثار الأدبية الأجنبية والمناظرات والأفكار البلاغية لدى الفرس واليونان والهند.

٢- انتشار الوعاظ والقصاص والنسك في المسجد والساحات والتفاف العامة حولهم.

٣- ظهور المذاهب الفلسفية وأقوال الحكماء في الثقافات الأجنبية في الأدب العربي.

٤- احتدام الجدل الديني وقيام المناظرات بين الفرق الإسلامية.

٥- ظهور المؤلفات المتخصصة في مجال النثر العربي .

٦- اهتمام الكتاب بالنثر العربي في هذا العصر.

٧- ظهور حركة الترجمة حيث عملت على الامتزاج الثقافي.

٨- المناخ المناسب لتطور النثر العربي.

٩- قدرته على استيعاب الثقافات الوافدة إلى البيئة العربية.

١٠- تأثره بالنثر الأموي والإسلامي.

١١- تأثره ببلاغة وأساليب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

١٢- المذاهب الكلامية وأثرها في تعمق النثر العباسي.

١٣- تعدد أنماط النثر العباسي.

١٤- قوة اللغة العربية ورقيها والاهتمام بها في هذا العصر.

لقد تعددت صور النثر في هذا العصر وتفاوتت مكانتها؛ وفيما يلي توضيح لهذه الصور أو الأنواع الأدبية:

فن الخطابة:

شهد هذا الفن ازدهارا وتنوعا على كل المستويات، فقد كثر المذاهب وتعددت النحل والملل كما كثرت الفرق السياسية والدينية وكانت أهم وسائل التواصل مع الناس (الخطابة)؛ فكثرت وتنوعت وازدهرت.

آخر العصر الأموي ضعفت الدواعي إلى الخطابة، لقلة الخروج على الخلفاء علنا، والاتجاه إلى التدبير السري، وتثبيت الأمور في جنح الظلام، ولأن الخطب بين أيدي الخلفاء قد قلت، إذ الوفود قد قلوا، بعد أن قل الخارجون، واستغنى الخلفاء عن استدعاء القلوب، ولهذا ضعفت الخطابة نسبياً إلى أن نهضت في صدر الدولة العباسية أمداً قصيراً

ولما قامت الدولة العباسية احتاج خلفاؤها إلى تثبيت سلطانهم، وتوطيد أركان دولتهم، فكان من سلاحهم لبلوغ هذا الهدف الخطابة.

ثم كانت هناك وفود تغد على الخلفاء والحكام الجدد في صدر الدولة، ونشوتها، وفي مجالس الوفادة تُدبج الخطب للتهنئة أو للمدح أو التحية وغير ذلك.

كما كانت الفتوح من أسباب إنعاش الخطابة في ذلك الوقت، لبث روح الجهاد والتضحية في نفوس المجاهدين، كما كانت هناك خطب الوعظ، وتفقيه الناس في أمور دينهم.

وكذلك، " فإن الذين كانوا يباشرونها، ويعتلون منابرها، ويديرون رحاها بين الناس، كانوا في الغالب سادة البيان، وصيارفة القول، لأنهم خلفاء وأمراء ووزراء وملوك علم وأدب، وفقه، وفصاحة وبلاغة، وهم إلى جانب ذلك كلّه عرب باللسان والبيان، والميول والهدف، ولا يمكن أن يتوفر للخطابة من عناصر القوة والحياة، أكثر مما يتوفر لها - حينئذ - في هذا الجوار العربي الأصيل، عند هؤلاء السادة الأمجاد الذين كانوا يقومون بها "

ومما قاله الأستاذ الزيات ملخصاً حال الخطابة في العصر العباسي؛ أن الخطابة في صدر هذا العصر كانت لها مكانة مرموقة في النفوس، وسلطان على القلوب، لاعتماد القوم عليها في توطيد الملك، وتحميس الجند، واستقبال الوفود، وكان للخلفاء الأولين ودعاتهم فيها الشأن الرفيع والشأو البعيد، كالمنصور والمهدي، والرشيد والمأمون وداود بن علي، وخالد بن صفوان، وشبيب بن شيبعة.

فلما استوثق الأمر لبنى العباس، وقام الموالي بسياسة الدولة وقيادة الجيش، وقل النضال باللسان واللسان، ضعفت الخطابة لضعف القدرة عليها، وقلة الدواعي إليها، وحلت الرسائل والمنشورات محلها في دفع العظائم وسل السخائم، وقُصرت على خطب الجمع والعيدين والزواج، على أن الخلفاء أنفسهم ما برحوا يخطبون الناس ويؤمنونهم إلى عهد الخليفة الراضي، فلما غل بنو بويه أيديهم وحصروهم في دورهم عهدوا بالخطابة والإمامة إلى الكُفأة من العلماء، فنبغ في آخر هذا العصر طائفة من الأدباء

شهِرُوا بِهَذَا النُّوعِ مِنَ الْخُطَابَةِ، كَالْخُطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ وَالْخُطِيبِ الْتَبْرِيزِيِّ، وَلَمَّا اسْتَعْجَمَ الْمُسْلِمُونَ وَمَلَكَ الْعِيَّ أَلْسِنَةُ الْوَعَاظِ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا إِثْنَاءَ الْخُطْبِ فِي الْمَوْضُوعَاتِ الْمُخْتَلَفَةِ؛ عَمِدُوا إِلَى اسْتَظْهَارِ خُطْبِ أَسْلَافِهِمْ كَابْنِ نَبَاتِهِ الْمَصْرِيِّ، وَأَخَذُوا يَرْدُدُونَهَا فَوْقَ الْمَنَابِرِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِمَعْنَاهَا وَلَا عِلْمٍ بِمَغْزَاهَا، وَدَرَجُوا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الْمُخْزِيَةِ تِلْكَ الْقُرُونِ الطَّوِيلَةِ حَتَّى أَدْرَكَتْهَا عَوَامِلُ النُّهْضَةِ الْمَصْرِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، فَرَقَّاهَا قِسْمَ الْوَعْظِ وَالْإِشْرَادِ بِالْجَامِعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ. أَهـ.

وَيَذْهَبُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ إِلَى أَنَّ الْخُطَابَةَ لَمْ تَضْعَفْ بَعْدَ الْمِائَةِ الْأُولَى مِنْ عَمْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَيُرَى أَنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ دَوَاعٍ تَدْعُو إِلَى عَدَمِ رُكُودِ الْخُطَابَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، أَيَّ بَعْدَ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِ، وَأَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مَا يُذَكِّبُهَا، وَمِنْ تِلْكَ الدَّوَاعِي الْمُنَاقَشَاتُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى حُدُودِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، إِذْ كَانَ الرُّومُ يَطْمَعُونَ دَائِمًا فِي بَسْطِ سُلْطَانِهِمْ عَلَى رُقْعَةِ الْمَمْلَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، كَمَا كَانَ الْفَرَسُ - كَذَلِكَ - مُتَحَفِّزِينَ لِاسْتِرْجَاعِ مَا اغْتَنَبَ مِنْهُمْ، وَكَانَ هَذَا كُلُّهُ يَسْتَدْعِي الْجِهَادَ، وَإِثَارَةَ الرُّوحِ الدِّينِيَّةِ، وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْخُطَابَةَ لَمْ تَخْمدُ جُذُوتَهَا، إِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يُؤْمِنُونَ بِالْجِهَادِ الَّذِي كَانَ لِسَانِ دَعَائِهِ الْخُطَابَةُ الْوَاعِيَّةُ وَالْفَصَاحَةُ الْبَالِغَةُ.

وَيُرَى أَيْضًا أَنَّ التَّرَفَ الَّذِي انْغَمَسَتْ فِيهِ الدَّوْلَةُ، وَانْحَدَرَ بِهَا إِلَى الْإِنْحِلَالِ الْخَلْقِيِّ الشَّنِيعِ أَدَّى إِلَى وَجُودِ نَزَعَاتِ التَّصَوُّفِ وَالزَّهْدِ، وَدَعَوَاتِ الْمُتَصَوِّفَةِ، وَقَامَ أَصْحَابُ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ يَحْمِلُونَ رَايَةَ الْوَعْظِ وَالْإِشْرَادِ، وَيَخْطُبُونَ فِي الْمُنْتَدِيَّاتِ، يَحْذَرُونَ النَّاسَ مِنَ التَّهَالُكِ عَلَى الدُّنْيَا.

وَيُرَى كَذَلِكَ أَنَّ طَمَعَ الْعُلُوِّيِّينَ فِي الْخِلَافَةِ، وَتَرْقُبِهِمْ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْأَمْرِ، وَخَاصَّةً بَعْدَ أَنَّ أُسُسَ الْفَاطِمِيِّينَ دَوْلَتَهُمْ بِالْمَغْرِبِ وَمِصْرَ وَالشَّامِ، كُلُّ هَذَا جَعَلَهُمْ يَسْتَخْدِمُونَ الدَّعَاةَ، وَيَنْشُرُونَ الْخُطْبَاءَ وَالْدَّعَاةَ لِلْإِعْلَانِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَالْدَّعَاةَ لِصَالِحِهِمْ، وَبِهَذَا أَعْلَوْا ذِكْرَ الْخُطَابَةِ، وَجَعَلُوا لَهَا قَدْرًا.

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا زَالَتْ دَوْلَةُ الْفَاطِمِيِّينَ، وَظَهَرَ عَلَى مَسْرَحِ السِّيَاسَةِ بَنُو أَيُّوبَ بِالشَّامِ وَمِصْرَ، وَلَمَعَ نَجْمُ صِلَاحِ الدِّينِ، وَحَدَّثَتْ الْحُرُوبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلِيبِيِّينَ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، كَانَ " الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " يَشْغُلُ بِأَلِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُنَاكَ كَانَ لِلْخُطَابَةِ الدِّينِيَّةِ، وَالْدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ الصَّوْتِ الْمَدْوِيِّ، وَكَانَ لِلْأَيُّوبِيِّينَ أَنْفُسُهُمْ - عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْعِرْقِ الْأَعْجَمِيِّ فِيهِمْ - فَصَاحَةٌ وَلَسَنَ اسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى الْخُطَابَةِ فِي الْجَيْشِ، لِإِثَارَةِ الْهَمَةِ وَمُضَاعَفَةِ الْعَزْمِ عَلَى الْاسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

ويرى أن الضعف الذي اعتري البيان، حينما سرى تيار العجمة إلى كل الجهات، وانتقلت عدواه إلى الخاصة والعامة، فسرى تيار الأتراك السلاجقة إلى اللسان والبيان فلم يترك شيئاً إلا وأعمه ولا ذوقاً إلا أفسده؛ هذا الضعف كان في أواخر عهد الدولة العباسية.

لكن المحققين من الباحثين لا يرتابون في أن الخطابة أخذت في الضعف بعد المائة الأولى من حكم العباسيين - وهو الأظهر - لقلّة الدواعي، وضعف أمر العرب وضياح نفوذهم، وفي ضعفهم ضعف للخطابة لأنهم أقدر الناس عليها، وليس العربي كالمترعب، ولحلول الكتابة محل الخطابة، وقيود الخلفاء عن الخطابة، واستهانتهم بها، فتبعهم الناس في هذا الأمر.

وأما عن الخطابة في الجنود لحثهم على القتال، وإثارتهم للجهاد؛ والقول بأن هذا مما نشط الخطابة في ذلك العصر؛ فلم يكن الأمر كذلك لأن الجنود قد غلبت عليهم العجمة، إذ كان العباسيون يستعينون في حماية دولتهم بالفرس والأتراك، وهؤلاء لا يثيرهم القول العربي البليغ، وإنما تثيرهم عصبيااتهم الجنسية التي كان لها السلطان الأكبر في ذلك العصر، إذ حلت محل العصبية القبلية عند العرب، فذهبت من أجل ذلك الخطابة في الجند حتّى لهم على الجهاد، وذهب من الخطابة داعٍ من أعظم دواعيها.

هذا ولم يخلُ هذا العصر من رجال بلغوا القمة في الخطابة، وصاروا مضرب الأمثال في الفصاحة والبلاغة وقوة التأثير، وكان منهم أعجوبة الزمان في الوعظ والخطابة والتأثير؛ الإمام ابن الجوزي رحمه الله، وقد ذكرنا طرفاً من الحديث عنه في المبحث السابق.

هذا " وإذا كانت الخطابة قد ركبت لهذه الأسباب؛ فقد خلفها فنٌّ من فنون القول صاحبها زماناً، ثم انفرد بعدها بالسلطان، وذلك الفن هو المناظرة، ويتفق مع الخطابة في الارتجال، ومحاولة الغلب بالبيان، والسبق باللسان، ويخالفها في الموضوع، وقد سادت المناظرة ذلك العصر، لأن الحياة العقلية كانت لها السيادة، وعظم أمر العلم فكثرت مساجلات العلماء فيما بينهم، وصارت مجالس العلم ميداناً للمسابقة الكلامية والجدلية بين زعماء الفرق الإسلامية، وكان المتكلمون يحرصون على بلاغة الكلام، وإيضاح البيان، والتأثير بالإقناع بعد الإفحام " .

ولهذا تنوعت موضوعات الخطابة في هذا العصر، ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

١. الخطابة الدينية :

جعل الإسلام الخطابة الدينية واجبة في يوم الجمعة ، وفي العيدين ومن هنا فقد ازدهرت الخطابة الدينية بعد مجيء الإسلام ، وقد شرعت هذه الخطب الدينية في الإسلام لمعالجة الأحداث المتجددة والوقائع الجارية، ولكنها خرجت عن ذلك في مراحل مختلفة من العصر العباسي . وقد دأب الخطباء على وعظ الناس ومطالبتهم بالتوبة والإنابة قبل أن يلبوا نداء الموت ، وهذا المعنى يكاد يكون هو القاسم المشترك بين الخطب الدينية للخطباء في العصر العباسي .

الخطابة الحربية:

خفت صوت الخطابة الحربية في العصر العباسي، وذلك مع ركود حركة الفتوح في هذا العصر وإن كانت الحروب التي شهدها هذا العصر بين العباسيين والروم أو بين العباسيين والخارجين عليهم قد ظلت حافزا لإلقاء الخطب الحربية بين حين وآخر.

الخطابة المحلية:

ضعفت هذه الخطب في هذا العصر لأن الخلفاء العباسيين لم يكونوا يرحبون بوفود العرب ووفود البلدان التي كانت تفد على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية فتقابل بالترحيب والتكريم .

الخطابة السياسية:

تقدمت الخطابة السياسية تقدما ملحوظا في هذا العصر ، بسبب نشاط فرق المعتزلة والشيعة والعلوية، وغيرها من الطوائف الأخرى، بالإضافة إلى صعود الخلفاء العباسيين على المنابر، مما حفظ لها مكانتها بين أنواع الخطب الأخرى.

خطب النكاح:

تسمى خطب النكاح أيضاً خطب الزواج أو خطب الإملاك. وقد أكثر الناس من النسج على منوال خطبتي نكاح هما:

١ - الخطبة التي ألقاها أبو طالب عند تزويج النبي (صلى الله عليه وسلم) من خديجة بنت خويلد

٢- الخطبة المأثورة عن الإمام علي الرضا.

وتبدو الخطبة التي ألقاها المأمون في تزويج بعض أهل بيته كأنها نسخة من خطبة الإمام علي الرضا. وقد دخل هذا النوع من الخطب طور الجمود في وقت مبكر، فأصبح يعاد ويكرر.

خطب الوفاة:

ضعفت خطب الوفاة في العصر العباسي، فأصبحت قليلة العدد، قليلة الشأن ، وذلك لأن خلفاء بني العباس لم يكونوا يرحبون بوفود العرب ووفود البلدان التي كانت تقصد بني أمية بالترحيب والتكريم. ومن هذه الخطب التي ألقاها عبد الملك بن صالح بين يدي هارون الرشيد يهنئه بمولود ويعزيه عن موت ولده، إذ قال : “ يا أمير المؤمنين سرّك الله فيما ساءك ، وجعل هذه لهذه ثواباً للصابرين وجزاء الشاكرين “.

خصائص الخطابة:

أ- من الناحية الموضوعية:

١- اتخذ الخطباء العباسيون الموضوعات التقليدية موضوعاً للقول ، وضائق بهم سبل التجديد في الموضوعات والمعاني.

٢- الأفكار التي عبروا عنها ، لم تكن بالعمق الذي ينتظره الباحث من خطباء عاشوا في العصر الذهبي للفكر الإسلامي ، فاشتملت خطبهم على أفكار مسطحة ، نظراً لضيق صدر السلطة، وميل معظم الخطباء إلى إثارة السلامة.

٣- يحمّد للخطباء العباسيين أنهم كانوا يميلون إلى المعاني الواضحة التي لا ترهق الذهن للكشف عن المقصود.

ب- من ناحية البناء الفني :

كان للخطب العباسية هيكل عام يقوم على أربعة أركان:

١- التحميد: فقد حرص الخطباء العباسيون على افتتاح خطبهم بحمد الله، وكانوا يسمون كل خطبة لا يذكر فيها الله في أولها بالبتراء، وكانوا يوجزون فيه.

٢ - الصلاة على النبي: فقد كانوا يعمدون فيه إلى الإيجاز.

٣ - الموضوع: كانوا في عرض موضوعاتهم يميلون إلى الإيجاز مع مراعاة مقتضى الحال.

٤ - الخاتمة: غالباً ما كانت تختتم خطبهم بالدعاء ، حيث يدعو الخطيب لنفسه ولغيره بما فيه الخير والصالح.

ج- من ناحية الأسلوب :

١ - الميل إلى السلاسة في الأساليب، والسهولة في العبارات والتراكيب.

٢ - استخدام الجمل المستوية الخالية من التعقيد .

٣ - تحاشي استخدام الألفاظ السوقية والألفاظ الموعلة في الغموض، والميل إلى استخدام الألفاظ المألوفة.

٤ - كثر في الخطب العباسية اللجوء إلى الاقتباس والتضمين.

نماذج من خطب هذا العصر:

أ- خطبة أبي العباس السفاح عندما ولي الخلافة:

"الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه ديناً، وكرمه وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه والقوام به والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى، وجعلنا أحق بها وأهلها، خصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربته، ووضعنا بالإسلام وأهله في الموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم، فقال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وقال: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]. فأعلمهم عز وجل فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجل

من الفياء والغنيمة نصيبنا تكمةً لنا، وتفضله علينا، والله ذو الفضل العظيم، وزعت (السبائية) الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاها وجوهم.

أيها الناس: بنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، ونصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخسيسة وأتم النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة في دنياهم، وإخوانا على سرر متقابلين في أخراهم، فتح الله علينا ذلك منة ومنحة بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما قبض إليه قام بذلك الأمر بعد أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحوا مواريث الأمم فعدلوا فيها، ووضعوا مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصاً منها.

ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها لأنفسهم وتداولوها، فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموها أهلها، فأملى الله لهم حيناً، ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥] فانتزع منهم ما بأيديهم بأيدينا، ورد الله علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وتولى أمرنا والقيام بنصرنا، ليمن على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجو أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الإصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله. يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، وأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، وقد زدكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا فأنا السفاح الهائج، والثائر المبير.

وكان به وعك فاشتد عليه حتى جلس على المنبر، ونهض عمه داود فألقى خطبة على الناس.

ب- خطبة المأمون يوم الأضحى:

قال بعد التكبير والتحميد: إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله وأوجب تشريفه، وعظم حرمة، ووفق له من خلقه صفوته، وابتلي فيه خليله، وفدى فيه من الذبح العظيم نبيه، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر، ومقدم الأيام المعدودات من النفر، يوم حرام من أيام عظام في شهر حرام، يوم الحج الأكبر، يوم دعا الله إلى مشهده، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧]، فتقربوا إلى الله في هذا

اليوم بذبائحكم، وعظموا شعائر الله، واجعلوها من طيب أموالكم، ولتصح التقوى من قلوبكم، فإنه يقول: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَيَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والوصية بالتقوى. ثم ذكر الموت، ثم قال:

وما من بعده إلا الجنة أو النار، عظم قدر الدارين، وارتفع جزاء العاملين، وطالت مدة الفريقين؛ الله الله، فو الله إنه الجد لا اللعب، والحق لا الكذب، وما هو إلا الموت والبعث والميزان والحساب والصراف والقصاص والثواب والعقاب، فمن نجا يومئذ فقد فاز، ومن هوى يومئذ فقد خاب، الخير كله في الجنة، والشر كله في النار.

ج- خطبة عزاء في وفاة المنصور:

لما هلك أمير المؤمنين المنصور، قدمت وفود الأمصار على أمير المؤمنين المهدي، وقدم فيهم أبو العيناء المحدث؛ فتقدم إلى التعزية فقال:

آجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ، وَبَارَكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا خَلَفَهُ لَهُ، فَلَا مَصِيبَةَ أَعْظَمَ مِنْ مَصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ، وَلَا عَقْبَى أَفْضَلَ مِنْ خَلَاةِ اللَّهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، فَاقْبَلْ مِنْ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعُطْيَةِ، وَاصْبِرْ لَهُ عَلَى أَعْظَمِ الرِّزْيَةِ.

ثانياً: الكتابة الأدبية :

نهضت الكتابة في العصر العباسي نهضة واسعة وبلغت حداً عالياً من الجودة ، ومستوى رفيعاً في البلاغة، ومما ساعد على رقيها وازدهارها أنها كانت تحظى بالاحترام والتقدير لدى عامة الناس وخاصتهم . وقد أورد ابن عبد ربه في العقد الفريد أقوالاً لعدد من أعلام العصر العباسي في إطرار الكتابة وبيان أهميتها.

وساعد على ذلك أيضاً أن الكتابة في الديوان كانت طريقاً إلى المناصب العالية ، فالكااتب في الديوان قد يصبح رئيساً له ، وقد يتدرج في منصبه حتى يصبح والياً على إحدى الجهات، أو يرتقي إلى الوزارة.

وشجع على رقي الكتابة وازدهارها أيضا كثرة الدواوين ، وتنافس الكتاب العاملين فيها ، فكان هناك ديوان للخلافة، وديوان للجيش ، وديوان للخارج ، وديوان للرسائل ، بالإضافة إلى دواوين للبلدان والولايات ، وكان كتاب هذه الدواوين يتنافسون في البلاغة ، والحرص على التجويد .

لقد تنوعت توجهات الكتابة الفنية في هذا العصر، فازدهرت على كل مستوياتها، وأهمها الرسائل الديوانية، والرسائل الإخوانية والرسائل العامة. أما أشكال الكتابة الديوانية فقد كان أهمها الرسائل المتبادلة التي تتعلق بأعمال الدولة ورسائل التهديد والبشائر ، والتوقيعات التي يكتبها الخلفاء والوزراء والقواد وكتاب الدواوين على ما يرفع إليهم من كتابات ، والعهود بالخلافة وبولاية العهد ، وبولاية البلدان ، وبولاية القضاء ، وغير ذلك ، وعهود الأمان التي تعطى لأهل البلدان أو للأفراد.

ازدهار الكتابة الديوانية

ازدهرت الكتابة الديوانية في عهد بني العباس ازدهاراً كبيراً ، وبلغت حداً عالياً من الجودة ومستوى رفيعاً في البلاغة. ومما ساعد على رقيها وازدهارها:

١ - أنها كانت تحظى بالاحترام والتقدير لدى عامة الناس وخاصتهم.

٢ - أن الكتابة في الديوان كانت طريقاً إلى المناصب العليا.

٣ - كثرة الدواوين، وتنافس الكتاب العاملين بها.

أشكال الكتابة الديوانية:

أ- الرسائل الديوانية

كان الخلفاء والولاة يختارون لدواوينهم كتاباً بارزين يحسنون تصريف القول بحنكة واقتدار، ولديهم ثقافة واسعة في ميدان الثقافة العامة، ومعرفة تامة في طرائق الكتابة وأساليبها، فكانت الكتابة في الديوان منزلة رفيعة ، يحرص الكتاب على تثقيف أنفسهم وتجويد كتاباتهم؛ ليحظوا بها. وكان كُتَّاب الرسائل يحرصون على أن يكون صدر الرسالة مؤامراً لشخصية من يُراد إرسالها إليه.

كما كان بعض الكُتَّاب يسير في الرسالة على منهج عصر صدر الإسلام من حيث الوضوح والإيجاز والدقة ، على حين سلك بعضهم مسلكاً آخر، فعمد إلى الإسهاب والاهتمام بالصناعة والازدواج والترادف.

أما فيما يتعلق بخواتيم الرسالة، فقد شاع اختتام الرسائل بالسلام أو بعبارة “إن شاء الله” أو “كتب فلان” أو الدعاء .

ب- التوقيعات:

التوقيع هو تعقيب موجز، كان يكتبه الخلفاء الراشدون على الرسائل الواردة إليهم من أفراد المسلمين أو من الولاة من البلدان، يرَدُّ فيه الخليفة بما يراه مناسباً . وكانت التوقيعات تتصف بالبلاغة ووجازة التعبير ودقته. فمن توقيعاتهم : “من صبر في الشدة شارك في النعمة”.

ج- العهود:

العهد وثيقة رسمية تُعطى لتسلّم منصب كبير في الدولة، أو لمزاولة عمل مهم فيها ، وهو أشبه ما يكون بدستور مصغر أو منهج مرسوم ، يستلهمه الموكل بأحد الأعمال في تسيير عمله.

وهناك نوع آخر من العهود وهو العهد بالأمان ، ومنه عهد الأمان للمدن والبلاد وأهلها، وكان كثيراً في فترة الفتوحات الإسلامية، ثم أصبح نادراً بعد توقف حركة الفتح.

الكتابة الإخوانية:

تشمل الكتابة الإخوانية الرسائل المتبادلة في محيط العلاقات الخاصة، والتي ليست لها صفة رسمية، وتدور حول العلاقات الاجتماعية والمشاعر الخاصة ، مثل المحبة والبغضاء والرضا والسخط وغير ذلك من العواطف والانفعالات الذاتية. وفيما يلي نعرض لأهم أشكال الرسائل الإخوانية:

أ- رسائل الشوق والمودة:

وهي الرسائل التي كان يرسلها الكتاب إلى إخوانهم وأصدقائهم الغائبين عنهم، يتحدثون فيها عما يعتلج في الصدور من شوق وحنين، وما يكونونه نحوهم من حب ومودة. ويعربون عن أملهم في اللقاء ، ودعائهم إلى الله سبحانه وتعالى أن يجمع الشمل.

ب- رسائل الدعوة:

كان الكتّاب يوجهون رسائل إلى الأصدقاء، يدعونهم فيها إلى زيارتهم ومشاركتهم أفراحهم وقد يدعونهم لحضور مأدبة، أو للسمير الذي يخالطه اللهو وسماع المغنيين، أو للشراب ، وقد تكون الدعوة لنزهة أو لرحلة.

ج- رسائل الإهداء:

اعتاد الناس في العصر العباسي أن يهدي بعضهم بعضاً هدايا مختلفة، كالأطعمة والزهور والورود وغير ذلك. وكان بعضهم يرسل مع الهدية رسالة ، يصف فيها الشيء الذي يهديه، ويبين دلالاته الرمزية.

د- رسائل التواصي:

التوصية رسالة يرسلها شخص إلى شخص آخر له جاه يشفع عنده لشخص ثالث في أمر من الأمور، أو في قضاء حاجة من حوائجه. وكان هذا النوع من الرسائل مألوفاً في زمن العباسيين.

هـ - رسائل التهنئة:

كان الكتاب العباسيون يتبادلون رسائل التهاني مع أصدقائهم وأقاربهم في المناسبات السعيدة العامة والخاصة. ومن هذه الرسائل: رسائل التهنئة بولاية الأعمال والمناصب والمراتب، أو التهنئة بسلامة القدوم، وغير ذلك.

و- رسائل التعزية والمواساة:

تدور رسائل التعزية - بوجه عام - حول الحث على الصبر والرضاء بقضاء الله، والدعوة إلى عدم إظهار الجزع على المصائب، والتذكير بما يلقيه الصابرون من الثواب عن فقدان الأحبة.

ز- رسائل المدح:

على الرغم من أن الكتّاب في العصر العباسي ، كتبوا قطعاً نثرية في المدح؛ فقد ظل المدح النثري لا يلقي رواجاً بالقياس إلى شعر المدح.

وكانت المعاني التي تعاورها الكتاب في رسائل المدح ، شبيهة بالمعاني التي تعاورها الشعراء في قصائد المدح، كالمدح بالكرم والشجاعة والمروعة ، ووصف الممدوح بالبلاغة، وغير ذلك.

ج- رسائل العتاب:

عندما كانت العلاقات بين الكتاب وإخوانهم وأصدقائهم ومعارفهم تتعرض لهزة أو لجفوة ؛ فمن الكتاب من كان يلجأ إلى العتاب ؛ لإزالة ما علق في النفوس من خلاف ، فيكتب إلى صديقه رسالة يبين له فيها وجه عتبه عليه ، ويظهر له فيها أنه متمسكاً بصداقته وراعياً لحقه.

وكان يغلب على هذه الرسائل الإيجاز، وعدم الإطالة، والإكثار إلى التمثل بالشعر في ثناياها.

ط- رسائل الاعتذار:

كانت هذه الرسائل في العصر العباسي تسير على اتجاهين:

الأول: أن يعترف الكاتب بالذنب والتقصير، ومن ثمَّ يعتمد إلى الاعتذار وطلب العفو والتسامح.

الثاني: أن يذكر الكاتب ما نسب إليه من ذنب أو تقصير أو زلة أو إساءة ، ومن ثمَّ يعتمد إلى التنصل مما نسب إليه وتأكيد براءته بالحلف أو بالشواهد الدالة عليها، وتأكيد صدق ولائه ، وإثبات إخلاصه.

أعلام الكتابة:

أولاً: ابن المقفع :

عبد الله بن المقفع (ت/ ١٤٥هـ) رائد مدرسة الترسل في الكتابة الفنية الأدبية المميزة؛ وهو فارسي الأصل، اسمه : روزبه بن دادويه ، انتقل أبوه إلى البصرة والتحق بديوان الخراج لعهد الحجاج ، فاختلس مالا فضربه الحجاج حتى تقفعت يداه؛ فلقب بالمقفع ، ولم يسلم واستمر مجوسياً مانوياً .

وظهرت مخايل الفصاحة والنبوغ عليه منذ صغره ، فكتب لعدد من الولاة ، ولما قامت الدولة العباسية كتب لعيسى بن علي عم المنصور، وعلى يديه أعلن إسلامه ، ونسبى باسم عبد الله، واكتنى بأبي محمد، وظل يعمل في خدمة عيسى حتى قتله والي المنصور على البصرة سفيان بن معاوية سنة ١٤٢ أو ١٤٣ أو ١٤٥هـ، ومعنى ذلك أنه لم يعيش في الدولة العباسية إلا نحو عشر سنوات .

ويرى بعض كتاب التراث أن ابن المقفع كان زنديقا وأنه اتخذ الإسلام قناعا لزندقته ومانويته . قال الخليفة المهدي : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع .

لقد كان ابن المقفع ذكيا ذكاء شديدا ولكن ذكاءه أضله، وكان دقيق الحس ، وتروى عنه بعض الحكايات في ذلك . وقد عمل ابن المقفع في دواوين الحكام والأمراء ، وكان مترجما عن اللغة البهلوية، ونقل إلى اللغة العربية خير ما عرفه في لغته الفارسية .

ترجم كثيرا من كتب الديانات الفارسية ومنها كتاب (مزدك)، كما ترجم كثيرا من تراث الفرس التاريخي والأدبي. كما ترجم بعض ما نقل إلى لغته من التراث اليوناني مثل كتاب (المقولات) لأرسطو ، كما ترجم قصص (كليلة ودمنة) وهي قصص ترجع إلى أصول هندية ، ويرجح بعض الباحثين أنه زاد على الكتاب فصولا لم تكن في الأصل . وكذلك زاد بعض القصص . ولابن المقفع رسائل أخرى من تأليفه، أبرزها : الأدب الكبير ، والأدب الصغير ، واليتيمة ، ورسالة الصحابة .

لقد نقل ابن المقفع إلى العربية أروع ما أنتجته العبرية الإيرانية قبل الإسلام؛ مما كان الأثر الكبير في الآداب العباسية، سواء منه ما اتصل بالأخلاق ، وما اتصل بتاريخ الساسانيين ومن سبقوهم من ملوك إيران، وكذلك ما اتصل بأنظمة ملكهم وحكمهم للرعية ، ولم يكتف بذلك فقد نقل أيضا أجزاء من منطق أرسطو كما نقل قصص كليلة ودمنة ، وعنه نقلت إلى السريانية والعبرانية واليونانية والفارسية الحديثة، كما نقلت إلى اللغات الأوروبية .

وقد جعله ابن النديم من البلغاء العشرة الذين قاموا على رأس أدباء العصر العباسي وكتابه، وما زال القدماء يستشهدون بآرائه في الفصاحة والبلاغة ، ويروي الجاحظ أن الكتاب الناشئين كانوا يدرسون آثاره ليتعلموا منها البيان ويصقلوا عقولهم وألسنتهم .

والحق أن ابن المقفع كان من البلاغة في الذروة، ويكفي أنه استطاع أن ينقل أهم ما عرفه في لغته من تراث عقلي وتاريخي وفلسفي وأدبي إلى العربية مع الاحتفاظ لها بكيانها ومشخصاتها .

خصائص أسلوبه :

١ - أسلوبه جديد يقوم على التوسط بين لغة الخاصة ، ولغة العامة .

٢ - أسلوب عباسي مولد يلائم فيه ابن المقفع بين حاجات عصره الثقافية وبين مقومات العربية وأصولها اللغوية والنحوية .

٣ - كان يدرس الألفاظ ويختبرها ويقارن بينها ويفاضل حتى يظفر منها بما يستوفي معانيه من جهة، وما يتيح لها ضربا من البلاغة المميزة من جهة ثانية .

٤ - أسلوبه يقوم على السهولة والوضوح مع توفير الجزالة والرصانة .

٥ - يعتمد في أسلوبه إلى الإيجاز؛ فالمعاني تؤدي بأقل الألفاظ دون أن تقصر عنها ودون أن تطول .

٦ - عدل عن السجع وعن أسلوب الترادف الصوتي الذي كان عند الوعاظ وعند عبد الحميد الكاتب .

٧ - لم يتوسع في رصف الألفاظ وبسطها حتى لا تخونه في أداء معانيه .

٨ - غايته أن يوفق بين اللفظ الدال والمعنى المدلول .

٩ - كان يحرص أن يكون لفظه جزلا رصينا مصقولا، وأن ينسقه في حركاته وأوضاعه تنسيقا مبينا لا يخفي أي شيء مما يحمله معنى أو صورة .

١٠ - ظلت القرون التالية إلى قرننا الحاضر تتداول كثيرا مما ترجمه وعلى الخصوص كليله ودمنة ، والأدب الكبير ، والأدب الصغير ، وهذا الصمود للتداول الطويل مرجعه هذا التعاون الوثيق بين المعنى الحصيف واللفظ الرشيق .

ومن كتابة ابن المقفع ما دونه في كتابه (الأدب الكبير) وخاصة في حديثه عن الصداقة والصديق؛ فيقول:

" اجعل غاية تشبثك في مؤاخاة من توأخي ، ومواصلة من تواصل توطين نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك ، وإن ظهر لك منه ما تكره ، فإنه ليس كالمملوك تعتقه متى شئت ، أو كالمرأة تطلقها إذا شئت، ولكنه عرضك ومروءتك .

فإنما مروءة الرجل إخوانه وأخذانه فإن عثر الناس على أنك قطعت رجلا من إخوانك ، وإن كنت معذرا ، نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة للإخاء ، والملال منه ن وإن إنت مع ذلك تصبرت على مقارته على غير الرضا عاد ذلك على العيب والنقيصة . فالإتئاد الإئتاد والتثبث التثبث .

وإذا نظرت في حال من ترتئيه لإخائك ، فإن كان من إخوان الدين فليكن فقيها غير مرء ولا حريص .
وإن كان من إخوان الدنيا فليكن حرا ليس بجاهل ولا كذاب ، ولا شرير ولا مشنوع .

فإن الجاهل أهل أن يهرب منه أبواه ، وإن الكذاب لا يكون أخا صادقا لأن الكذب الذي يجري على لسانه إنما هو من فضول كذب قلبه .

وإنما سمي الصديق من الصدق ، وقد يتهم صدق القلب وإن صدق اللسان ، فكيف إذا ظهر الكذب على اللسان ؟

وإن الشرير يكسبك العدو ، ولا حاجة لك في صداقة تجلب العداوة ، وإن المشنوع شائع صاحبه .

واعلم أن انقباضك عن الناس يكسبك العداوة ، وأن انبساطك إليهم يكسبك صديق السوء ، وسوء الأصدقاء أضر من بغض الأعداء ، فإنك إن واصلت صديق السوء أعتك جرائره ، وإن قطعت شانه اسم القطيعة ، والزمك ذلك من يرفع عيبك ، ولا ينشر عذرك ، فإن المعاييب تنمي والمعاذير لا تنمي .

هذه الفقرة مأخوذة من كتاب " الأدب الكبير لابن المقفع . ويبدو أن أسلوبه في هذا الكتاب خطابي تعليمي كله أمر ونهي ، وهو أسلوب المعلم الخبير الحكيم ، وأسلوب فلاسفة الأخلاق المجريين الذين يعالجون مشكلات الناس في خبرة وبصيرة .

- نلاحظ من الفقرة أن غبن المقفع لا يحفل كثيرا بتسجيع الألفاظ وزخرفتها إلا ما جاء عفو خاطر .
ويستخدم القياس والمنطق ويظهر هذا واضحا في اتساق أفكاره وترابط جملة وغوصه على المعاني الفلسفية الدقيقة . ولا يعتمد الصناعة اللفظية والمحسنات البديعية ، والوجوه البيانية ، ولا يأخذ هنا إلا بقدر معلوم ومتى ما تدعو الضرورة إلى ذلك .

- يحمله - ابن المقفع - اهتمامه بالمعنى على إطالة الجملة بهدوء ورصانة ، فهي تمتد من غير تقلب ولا تلون ، وقد تدفعه هذه الإطالة أحيانا إلى تداخل الجمل بعضها ببعض يستحيل معها تقسيمها على عبارات قصيرة ، كما أنه يبتعد ابتعادا شديدا عن المبالغات فليس في أساليبه عناية بالأخيلة الدقيقة.

ثانياً: سهل بن هارون:

فارسي الأصل ولا يعرف تاريخ مولده (ت/ ٢١٥هـ) ، ترك مسقط رأسه وذهب إلى البصرة ، وأقبل يتزود من ينابيع الثقافة التي كانت منبثة بها وخاصة علم الكلام وما نقل عن الأجانب من مختلف الترجمات الفارسية واليونانية والهندية . وأخذ يشارك في ترجمة بعض الرسائل عن لغته الأصلية.

انتقل إلى بغداد في عهد الرشيد حيث عين للإشراف على بعض الكتب في دار الحكمة . وبعد نكبة البرامكة انعقدت صلة بينه وبين الفضل بن سهل الذي قدمه إلى المأمون ، فأعجب ببلاغته وصحة منطقته وذكائه ، ثم جعله المأمون قيما على خزائن كتب الفلسفة التي جلبت من قبرص ليشراف على نقلها إلى العربية ، وكان يلزم المأمون في مجالسه وندواته التي كان يعقدها لكبار العلماء والمتكلمين ، وما زال خازنا بدار الحكمة حتى وفاته سنة ٢١٥ هـ .

اشتهر بالحكمة والبلاغة حتى أسماه معاصروه (بزرجمهر) إشارة إلى أنه يحل في العربية محل بزرجمهر في الفارسية .

ثالثاً: عمرو بن مسعدة:

عمرو بن مسعدة (ت/ ٢١٧هـ) واحد من الكتاب البارزين في دواوين الخلافة العباسية، فقد كان جده الأعلى صول أحد ملوك جرجان ، وقد اعتنق الإسلام في زمن بني أمية ودخل ابنه سعيد في الدعوة العباسية، فلما نجحت صارت له منزلة في الدولة إذ كان من دعائها النابهيين.

اتخذ خالد البرمكي ابن مسعدة للكتابة بين يديه في وزارته للسفاح والمنصور . وبعدها يولد ابنه عمرو فيعنى بتأديبه حتى يصلح للكتابة في دواوين الدولة ، واستخلصه جعفر بن يحيى البرمكي لنفسه في عهد الرشيد ، ثم يتصل بالفضل بن سهل القائم على تدبير شؤون المأمون حين كان يحكم من مرو الولايات الشرقية، ثم اتخذه وزيرا . كان عمرو يروع معاصريه ببلاغته التي تتصف بصفتين أساسيتين هما : الإيجاز الدقيق ، والوضوح البالغ . وكان يضرب المثل بإيجازه الدقيق . كما كان يتأنق في اختيار لفظه فينمقه بالسجع الرشيق .

الحمد لله رب العالمين
